سير أعلام شهداء الثورة السورية

أبو مصعب الحكيم (صلاح عبد الرحيم عناني)

جمع و ترتيب : أبي الوليد الحنفي

ذو الحجة 1441 هـ

إهداء

- إلى المجاهدين من درعا -مهاجرين وأنصار- الذين لم يقبلوا بتسويات الذل والعار، ورفضوا التصالح مع النظام النصيري المجرم الذي دنس المقدسات وانتهك الحرمات وسفك الدماء وهدم البيوت فوق رؤوس ساكنيها.

- إلى المجاهدين من درعا -مهاجرين وأنصار- الذين رضوا أن يفارقوا ديارهم ويغادروا ملاعب صباهم ويفروا بدينهم؛ ليتابعوا مسيرة جهادهم نصرة لدين لله وللمستضعفين.

- إلى المجاهدين من درعا -مهاجرين وأنصار- الذين لم يعطوا الدنية في دينهم، ولم تغرهم وعود المحتل الروسي الكافر، ولم يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، بل اختاروا درب الجهاد والمصابرة درب الأنبياء والصديقين.

وأقول لهم: لن يطول ليل الظالمين، ولنا كرة بإذن الله، وسنعود بمشيئة الله إلى ديارنا فاتحين، ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله.

مقدمة

الحمد لله القوي المتين، العزيز الحكيم، جامع الناس ليوم لا ريب فيه، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى وأئمة التقى أصحاب المراتب العلى، وعلى من سلك سبيلهم واتبع خطاهم واستنار بنورهم.. وبعد؛

فهذه سيرة: المجاهد، المهاجر، الطبيب، البطل، الشجاع، الجواد، الزاهد في الدنيا، الراغب فيما عند الله، صاحب الخلق الرفيع والأدب البديع، الصوام القوام، التالي لكتاب الله، الحريص على تعليم إخوانه؛ أبو مصعب الحكيم الأردني.

وقد اعتمدت في تدوين سيرته على شهادته أقربائه وإخوانه والعاملين معه، وهم:

- أخوه أبو ياسر.
- أخوه لأبيه أبو إياد، ونقل لي شهادته مكتوبة الأخ أبو دجانة المعاني.
- الأستاذ عبد الله البزايعة، ونقل لي شهادته مكتوبة الأخ أبو دجانة المعاني.
- الطبيب أبو حسين الشامي، وهو نائب الحكيم سابقا ومدير مستشفى عيسى عجاج في طريق السد، وكان يعمل فيها الحكيم.
- زوجته السورية، وقد وصلتني شهادتها مكتوبة عن طريق أبي دجانة السني، نقلا عن زوجته عنها.
- الأخ أبو طارق الحوراني.
- الأخ أبو محمد الحوراني.
- الأخ أبو عبيدة المهاجر.
- الأخ أبو نصوح الشامي.
- الأخ أبو عبد الله المخبري.
- الأخ أبو حمزة الغوطة.
- الأخ أبو مالك درعا.
- الأخ أبو عدي درعا.
- الأخ أبو دجانة السني.
- الأخ أبو دجانة المعاني.
- الأخ أبو هيثم الشامي.

- الأخ أبو جعفر طرقات.
- الأخ أبو العز معربة.
- الشيخ أبو أحمد أخلاق.
- الأخ أبو خليل معربة.
- الأخ أبو خالد مسلم.
- الأخ أبو النصر درعا.
- الأخ أبو أسامة الجولاني.
- الأخ أبو أسامة الشامي.
- الأخ أبو عبادة الشامي.
- الأخ أبو قدامة المعاني.
- الأخ أبو رغد الباشق.
- الأخ عمر الدمشقي.
- الأخ أبو جعفر الطيار.
- الأخ أبو البراء الأردني وقد نقل لي شهادته مكتوبة الأخ أبو سليمان معربة

أبو مصعب الحكيم (صلاح عبد الرحيم عناني)

مولده ونشأته ودراسته:

ولد أبو مصعب الحكيم (صلاح عبد الرحيم عبد العزيز عناني) في مدينة معان في الأردن في تاريخ 1968/6/11م وكان مواظبا على صلاته منذ أن كان في الروضة، ودرس في الأردن، وفي سنة 1975م ذهب مع والده إلى الإمارات، ونال شهادة البكالوريا هناك.

وفي سنة 1989م نال الحزام الأسود في الكاراتيه في الإمارات.

سافر إلى الفلبين فدرس فيها الطب البشري وعاد إلى الأردن عام 1997 بعد دراسة ثماني سنوات.

تخصص في التخدير عام 2004 ثم أصبح أخصائي تخدير.

في الأردن:

كان أبو مصعب من أهل الخير يشارك في أعمال البر، فعندما كان يعمل في المشفى كان يمضي وقتا طويل في رعاية العجائز اللواتي يأتين بدون مرافق، فكان يتولى متابعة أمورهن بتسيير الأوراق والذهاب إلى الصيدلية وغير ذلك، حتى إن بعض كبار السن لما علموا أنه خرج إلى سوريا غضبوا، وقالوا: كيف خرج؟ هذا يجب أن يبقى لمعا ن .

كما كان يسهم في مشروع إفطار صائم في رمضان، وهو ما يعرف بسبيل معان، وهو مشروع يطعم آلاف المسلمين وعابري الطريق وسائقي الشاحنات.

يقول صيدلي مشفى معان الحكومي: إن أقل شهر كان يخصم على الحكيم 400 دينار كان يدفعها لمن لا يملك ثمن الدواء.

وقال: إن الحكيم له عادة لم يغيرها، وهي أن أي مال يأتيه يجعله أثلاثا؛ ثلثا لأهل البيت، وثلثا للأقارب، وثلثا لله.

كما أسس جمعية العفاف وهي جمعية لتزويج الشباب الفقراء فكان يجمع من أهل الخير التبرعات ويضع فيها أكثر من نصف راتبه، واستمر على ذلك أكثر من عشر سنوات (كان مسؤولا لقسم التخدير في إحدى المستشفيات وراتبه ألف وخمسمائة دينار أردني) وكان والده يظن أن راتبه سبعمائة دينار فقط، حتى رأى مرة كشفا لراتبه فوجد أنه ألف وخمسمائة، فقال له: أين تذهب بالباقي؟ كنت أظن أن راتبك سبعمائة وهو الذي تضعه في يدي؟ فقال: بالله عليك لا تسلني، فألح والده وشدد عليه، فأخبره أنه يضعه في جمعية العفاف، وقال: راتبي كله يذهب إلا ما أنفقه في سبيل الله فهو الذي يبقى.

كما تبرع بسيارة فان لإحدى دور القرآن في معان.
وقام بتدريس أخيه أبي إياد في كلية التمريض في معان على حسابه.
وكانت زوجة أبيه ــ أم أبي إياد ــ تحبه أكثر من أولادها.
وكان الحكيم حريصا على إخفاء أعماله حرصا على كمال الإخلاص لله.

كما كان يصدع بالحق في الأردن ويقف مع المشايخ في مطالبتهم بإطلاق سراح المظلومين من أقبية المخابرات، وقد وقف بوجه المخابرات مرارا وكان يخرج في المظاهرات التي تدعو إلى تحكيم الشريعة وتطالب بالإفراج عن السجناء.

يقول الأستاذ عبد الله البزايعة: كان الدكتور أبو مصعب رحمه الله من المدافعين عن قضايا الأمة الإسلامية، وكان له نشاطه في كل تجمع يعمل لذلك، ويشارك دائما بأي مسيرة نصرة لفلسطين وباقي قضايا الأمة الإسلامية، وكان يقول كلمة الحق لا يخاف إلا الله، وهو من المدافعين دائما عن قضايا معان والشباب المعتقلين ظلما، وأذكر أنه أيام أحداث أبناء أبو ديّة وأبناء إلياس أو غيرهم لا أذكر تماما تم تشكيل لجنة لمتابعة قضايا معتقلي معان في ديوان إلياس في حي القناطر وكنت أنا العبد الفقير لله ضمن هذه اللجنة والدكتور صلاح عناني والأخ ماجد الشراري والدكتور محمد أبو صالح والأخ عبد الوهاب كريشان، وتم عمل أكثر من فاعلية بالتعاون مع أهالي المعتقلين حتى بحمد الله تم الإفراج عن أكثر المعتقلين بفضل الله تعالى.

وكان رحمه طيب النفس وصاحب أخلاق عالية وناصحا مخلصا لإخوانه، وسبحان الله عندما ذهبنا لزيارته في بيته عندما عاد من سوريا في المرة الأولى ـــ بسبب إصابته ـــ لأجل العلاج قال لنا كلمه أتذكرها جيدا: بأنه يتماثل للشفاء بسرعة لم يتوقعها، وقال: الآن عرفت معنى دعائنا عندما نقول: اللهم إني أسألك شفاءً عاجلا، وهذا ما حدث معي، وبعدها بوقت قصير سمعنا خبر رجوعه إلى سوريا رحمه الله تعالى.

وله نصيب في الخطابة في المساجد أيضا وكان يلقي محاضرات في ذلك؛ منها محاضرات في مدينة الزرقاء، ومنها في معان، ونفي منها لأجل ذلك إلى إربد، فلم يثنه ذلك عن عمله، ولم يكن يسمح لفرصة أن تفوته، فكان يتكلم ويعظ في المساجد وعلى أبوابها وفي الأسواق والجامعات وفي المستشفيات.

حتى إن متعاطي المخدرات وأصحاب المشاكل كانوا يذعنون لأبي مصعب، فقد كان له قبول عظيم في الناس، وقد هدى الله على يديه كثيرا منهم، يقول أخوه أبو ياسر: لا أبالغ إن قلت: إن عدد من تاب على يد أبي مصعب والتزم -بعد أن كانوا قبل لا يصلون ولا يصومون ويتعاطون الحشيش- تجاوز المائة وخمسين أو مائتين شخص، وذلك لأسلوبه الحسن وحكمته في الدعوة، فقد كان يأخذهم معه ويزجهم في أعمال الخير زجا حتى شرح الله صدورهم، وهم إلى الآن يبكون عندما يتذكرون حالهم وبعدهم عن الله وكيف أن الله هداهم على يد أبي مصعب.

وإذا اعتقل أحد العلماء كان يذهب إلى المشايخ ويتكلم معهم في ذلك ويجمع أهله وأقاربه ويقفون في الشوارع يطالبون به.

وعدد سكان معان خمسون أو ستون ألف نسمة فهم يقولون: نفقد الحكيم أبا مصعب، فقد خلف ذهابه فجوة فيها.

ويقول الأخ أبو البراء الأردني: معرفتي بأبي مصعب من الأردن حيث كان الأخ حريصا كل الحرص على لم شمل الإخوة ووحدة الصف وخاصة في معان فقد كان هناك مشاكل

بعد خروج الإخوة من السجون في 2011م فبدأ بجمع الإخوة وتوحيد صفهم وجمع كلمتهم، وكان خدوما لإخوانه، يساعدهم في المستشفيات والعلاج إذ أن التكاليف عالية.

زواجه:

كان أبو مصعب متزوجا بثلاث نساء؛ الأولى فلبينية تزوجها عندما كان يدرس في الفلبين، والثانية أردنية، والثالثة سورية، وقد رزقه الله بستة عشر ولدا تسع بنات وسبعة ذكور.

نفيره إلى الجهاد:

مع تزايد بطش النظام النصيري وتكاثر جرائمه وسفكه للدماء قرر أبو مصعب النفير تلبية لواجب الجهاد ونصرة لإخوانه المستضعفين مستجيبا لقوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) فترك وظيفته وبيته وأهله ويمم وجهه شطر درعا فدخل قرية معربة؛ حيث يوجد تجمع لجبهة النصرة هناك، ولم يمض سوى وقت قليل على قدومه حتى أعلن الشباب عن عمل عسكري لضرب كتيبة السهوة وحاجز الخربة، فقد بلغهم أن النظام النصيري يتجهز لاقتحام المنطقة فأرادوا معاجلته، وبالفعل قام المجاهدون بضرب كتيبة السهوة بمفخختين واقتحم قسم آخر حاجز الخربة، وكان من المشاركين في الاقتحام الحكيم أبو مصعب، وقد قَتل بنفسه عنصرين للعدو في تلك المعركة.

تعيينه أميرا طبيا:

وفي الشهر العاشر من عام 2012م بدأ النظام حملته لاقتحام المنطقة وما حولها وحاصر معربة، وبدأ القصف بأنواع الأسلحة بالمدفعية والراجمات والهاونات، وكان أبو مصعب مع المقاتلين غير أنه يزور الطبيين، وبعد حصار معربة لمدة خمسة أيام تم تأمين طريق للطبيين فخرجوا، وتسلم الحكيم النقطة الطبية مع شاب آخر معه،

وبعد تسلمه إياها بيوم واحد قصف النظام النقطة الطبية داخل المسجد بصاروخ فأصيب الحكيم إصابة بالغة فذهبت إحدى عينيه وأصيب بصدره وبطنه ويده، وكان ذلك بعد نفيره بشهرين أو ثلاثة، فخرج إلى الأردن بهوية سورية ليعالَج هناك وبقي قرابة سنة حتى تماثل للشفاء، فخرج في رحلة ترفيهية سياحية إلى وادي رم فرأى من نفسه قوة ونشاطا، فقرر العودة إلى سوريا ومتابعة الجهاد في سبيل الله.

يقول الأخ أبو جعفر طرقات: تعرفت إلى الحكيم في الشهر السابع من عام 2012م في معربة، ثم أصيب الحكيم فنقل ليعالج هناك، وأصبت أيضا أثناء حملة النظام على ريف درعا الشرقي فنقلت إلى الأردن لتلقي العلاج، فلقيت أبا مصعب هناك في المشفى الإسلامي، وما إن وقع بصره علي حتى سألني: أراجع أنت إلى سوريا أم لا؟ فقلت: راجع إن شاء الله، فقال: عازم على ذلك؟ إن شفيت فسأعود إن شاء الله. وفي ذات يوم أجرى الطبيب لي تحليلا ثم سألنا: من أين أنتم؟ فقلت: من سوريا، وأخذ الحكيم يتكلم مع الطبيب الذي أجرى التحليل ببعض الأمور الطبية ويناقشه، فسأل أبا مصعب: ماذا درست؟ فقال: تخدير، فقال: لهجتك ليست سورية بل أردنية، فقال أبو مصعب: قد منّ الله علينا ونفرنا إلى أرض الجهاد وقد أصبت هناك، ففرح الطبيب بنا جدا، وقال: يا ليتني أقدر على تقديم ما قدمتم.

قال أبو جعفر: وفي الأردن افتتحنا طريقا للإخوة الذين يرغبون بالنفير إلى الجهاد، فكان أبو مصعب يحرض الناس على الجهاد ويحضهم عليه ويبين لهم ما ورد في فضله ويتلو عليهم في ذلك آيات من كتاب وأحاديث من كلام خير الأنام عليه الصلاة والسلام، كما كان يساعدني في جمع الأموال لإرسالها إلى المجاهدين.

وقد كان في نفير أبي مصعب خير للجنوب عامة؛ فهو أول من افتتح دور الاستشفاء هناك، وأول من أسس كتيبة طبية لتقوم بالإسعافات الأولية في أرض المعركة للمصابين قبل نقلهم إلى المستشفى، وكانت الفصائل قبل ذلك تدخل المعركة فإذا جرح أحد مجاهديها في المعركة أرسلته إلى المستشفى مباشرة وقد يموت في الطريق من النزيف أو غيره.

وكان أبو مصعب رتب النقطة الطبية ترتيبا ثلاثيا يظهر فيه شدة الحرص على أرواح المجاهدين، فكان يدخل مع المقتحمين عنصرين من الطبية، ثم يجعل في الخط الخلفي نقطة طبية ومعهم الإخلاء ثم إخوة وظيفتهم نقل الأخ إلى المستشفى بعد تلقيه الإسعافات الأولية، وفوق ذلك يرسل مع الجريح إلى المستشفى عنصرا طبيا لاستلام أماناته والاهتمام به ضمادا وطعاما وشرابا.

وكان يرفض أن يعطي الجريح المسكنات القوية إلا في الحالات الحرجة جدا، ويقول: دع الجريح يتألم ليتعود الصبر والجلد، فإذا اضطر لإعطاء الجريح ترامدول كان يطحن الحبة ثم يعطيها إياه ولا يخبره باسمها خشية من أن يحصل عليها بعد ذلك بنفسه فيعتاد ها.

وكان يتفهم ما يصدر من الجريح من إساءة نتيجة شدة تألمه فكان يقول لفريقه: إذا سبكم الجريح فلا تغضبوا ولا تجدوا في أنفسكم منه.

حرصه على نفع إخوانه:

لم يكن أبو مصعب مقتصرا في جهاده على القتال ومعالجة الجرحى والمرضى بل كان حريصا الحرص كله على نقل خبراته وعلومه إلى إخوانه، فعند قدومه كان فنيو التخدير يخدرون الجرحى بطرق قديمة، وبما أنه أخصائي في التخدير وهو طبيب التخدير الوحيد في المنطقة فقد علمهم طرقا حديثة في التخدير، وكان الناس ينتظرونه إذ لم يكن طبيب بكفاءته، فكانت الحالات الصعبة التخدير ككبار السن أو الأطفال تترك له ليخدرهم.

وعندما جاء الحكيم إلى بعض الأماكن كان فني التخدير يخدر المريض ويبقى مستيقظا (كالتخدير الموضعي) وكان يعتذر بسوء مواد التخدير لديه فجاء الحكيم وتمكن من تخدير المريض تماما بالأدوية نفسها.
كما كان يخلط الأدوية ليحصل على دواء جديد.

كما أقام عددا من الدورات لتعليم الإسعافات الأولية وبعض الأمور الطبية اليسيرة، وافتتح مركزا للأطراف، وأرسل بعض الإخوة لتعلم صناعة الأطراف، وعلم الإخوة الحجامة فقد كان لديه في الأردن مركزا ضخما للحجامة.

ولم يكن يقتصر على تعليمهم الأمور الطبية فقط، بل كان يشدد أكثر على تعليمهم الأمور الشرعية، فكان يعقد حلقة قرآن بشكل يومي بعد الفجر ليصحح لهم تلاوتهم ويصبر على الأخ المتعلم صبرا عجيبا، ويقول له: لا تتعجل، اقرأ متمهلا حرفا حرفا، وربما استمرت الحلقة بسبب ذلك إلى الثامنة أو التاسعة صباحا، فإذا انتهت حلقة التجويد بدأ بدرس الرياضة، وكان يجري أمامهم مع أنه في سن والدهم فيتعبون ولا يزال هو في أوج نشاطه وقوته، كما كان يلقي بعد كل فريضة موعظة.

يقول الأخ أبو مالك: كان الحكيم يعقد حلقة تجويد يوميا، وكانت قراءتي ضعيفة جدا فما زال يعلمني ويرفق بي حتى تعلمت التجويد وتعلمت معه معنى الصبر.

ويقول الأخ أبو عدي: للحكيم فضل كبير علي في تعليمي قراءة القرآن والأمور الطبية؛ فقد أرسلني في دورة طبية مكثفة مدتها خمسة أشهر وتكلم مع بعض المستشفيات من أجل ذلك.

يقول الأخ أبو دجانة: بعد أن تزوجت صرت أتخلف عن دروس الرياضة، فقال لي أبو مصعب: إما أن تحضر معنا وإما أن آتي بالشباب إلى بيتك بعد الجري فنمارس حركات الرياضة السويدية وتعد لنا القهوة والبسكويت، فتخلفت فوفى بوعده وجاءني بالشباب ليتابعوا الرياضة في بيتي، فعل ذلك عدة مرات.

ويقول الأخ أبو عبادة الشامي: أصيبت خالتي بجلطة دماغية فأخذ الحكيم يسعى في إسعافها وعلاجها وكأنها أمه، مع أن معرفتي به في تلك المدة كانت يسيرة جدا، ولما توفيت جاء بالشباب وأتى إلينا معزيا.

أخلاقه:

من أبرز صفات أبي مصعب محبته لخدمة إخوانه ومساعدتهم والقيام بشؤونهم، ولم تكن خدمته تقتصر على عناصر فصيله أو حتى العناصر المجاهدة فقط، بل كان يخدم الجميع مدنيا كان أو عسكريا، بل يعامل المدني كما يعامل المجاهد؛ ففي شرق معربة مستشفى، فكان إذا سمع صوت الطيران بادر مسرعا بالذهاب إليها لتلقي الجرحى ومعالجتهم، وقد لا تقصف الطائرة ومع ذلك فقد كان مواظبا على الذهاب تحسبا لحصول أي طارئ.

ولذلك كان محبوبا من جميع الناس مدنييهم وعسكرييهم، ومع أن بعض الناس كان لا يحب جبهة النصرة إلا أنه يحب أبا مصعب الحكيم، كان يعطف على الصغير ويجل ويوقر الكبير، وله زيارات إلى المخيمات يعالج فيها جرحاهم.

كان أبو مصعب متواضعا عريا عن الكبر لا يتميز عن إخوانه بشيء؛ فعندما كان يقسم المهام لعناصره كان يضع لنفسه مهاما كمهامهم، فله دور في تنظيف أطباق الطعام والحراسة، بل كان يتطوع فيقوم بتنظيف بيوت الخلاء، كما كان يساعد الإخوة في إصلاح سيارتهم وتبديل إطارتها.

وكان يمنع أحدا من عيب الطعام، ويقول: إذا لم يعجبك فاذهب واشتر من السوق ما تحب ولكن لا تعب الطعام.

كان أبو مصعب عضوا في شورى جبهة النصرة في درعا، فلما تسلم الإمارة أبو أحمد أخلاق سأله بالله أن يعفيه من عضوية الشورى وإمارة الطبية، فأعفاه من الشورى ولم يعفه من إمارة الطبية، وكان الحكيم يقول: إذا رجعت من خان الشيح فسأرجع عنصرا وليس أميرا.

وكان أبو مصعب يقول للعناصر: ما هي الرسالة التي تحبون إيصالها إلى مجلس الشورى لأنقلها لكم إليهم؟ ماذا تحبون أن أقول عند انعقاد الشورى؟ ويسعى من

خلال ذلك إلى تعزيز ثقة العنصر بنفسه، وأيضا قد يستفيد من العناصر أمرا غاب عنه.

ومن الطرائف في ذلك أن أبا مصعب وزع نوبات الحراسة على الإخوة الطبيين وجعل لنفسه نوبة مثلهم، فلما كانت نوبة الأخ الذي قبله جلس ليحرس فغلبته عيناه فلم يستيقظ إلا بعد انقضاء نوبته ونوبة أبي مصعب إلا نصف ساعة، فهب مسرعا ليوقظ أبا مصعب، فلما أيقظه نظر أبو مصعب إلى الساعة، وقال: لماذا تأخرت في إيقاظي؟ فخشي الشاب أن يقول له كنت نائما، فقال: رأيتك متعبا فتركتك لترتاح! ومن عجيب اهتمامه بأمر المجاهدين أنه أراد أن يخطب لأحد الإخوة طبيبة نسائية لتجري عمليات الولادة لزوجات المجاهدين مجانا؛ فقد كانت تكلفة العملية خمسة عشر ألف ليرة سورية (وتساوي وقتها مائتي دولار تقريبا) إلا أن والد الفتاة لم يقبل ولم يخبر الفتاة أصلا، فاتصل الحكيم بالفتاة وسألها عن ذلك فقالت: لا علم لي، ثم تقرر أن يرى الشاب الطبيبة في عيادتها الرؤية الشرعية، فذهب إليها وكانت معها أمها، إلا أن الأمر لم يكتب له التوفيق.

وقد تزوج أبو مصعب زوجته السورية وكانت قابلة وهي أرملة عندها ستة أولاد، فسأله أبو دجانة عن ذلك، فقال: تجارة مع الله، أكفل أيتامها ولديها بنت عمرها ثلاثة عشر عاما نزوجها لمجاهد مهاجر، وفعلا زوج ربيبته لأحد الإخوة المهاجرين من الأردن.

ويقول الأخ أبو النصر درعا: أصبت بطلقة قناص في رقبتي، فأدت إلى الشلل وتفتت العظام ولله الحمد، فكان الحكيم يدخل بنفسه مع الأطباء الذين يجرون لي العملية ويشرف بنفسه عليهم، وكان يتولى تخديري كونه مختصا بذلك، وبعد ذلك كان يطلب يوميا من الإخوة الممرضين تقريرا عن حالتي المرضية ويشدد في ذلك، فإذا رأى تقصيرا منهم في هذا الأمر غضب ووبخ الممرضين، وعندما يكون موجودا كان يشرف على خدمتي مع الإخوة.

وعندما كانت نتيجة العمليات التي أجريتها سلبية رأيته متضايقا جدا، فجاء إليّ وحملني من فراشي، وكان يريد أن يحيي الإرادة في قلبي، وأخذ يساعدني لعلي أقدر على المشي، ولكني فقدت الوعي، ثم استيقظت بعد دقائق فرأيته يمسك أدوات التمريض ولم يفارقني حتى اطمأن عليّ، وبعد ذلك كان يذهب معي إلى المستشفى حتى أُجريت لي آخر عملية وكان يلوم نفسه على تقصيره، وبعد العملية أصابتني حرارة شديدة لم تفارقني مع كثرة ما أخذت من أدوية، فلما جاء الحكيم ليطمئن على المرضى كعادته ورأى ما بي أخذ التقرير السريري فلم يجده تاما؛ لأن الأخ المسؤول عن ذلك كان مشغولا بمرضى آخرين، فغضب الحكيم ووبخ الممرضين وبدأ العمل بسرعة، يقول: أعطوه كذا أعطوه كذا حتى انخفضت حرارتي والحمد لله، وكان قد أنّب الأخ المسؤول بكلمات رقيقة شديدة من شخص نحبه، وبعد أن اطمأن على حالتي اعتذر من الممرضين فقد كان سريع الأوبة رحمه الله.

وبعد أن خرجت من المستشفى بعد استقرار حالتي كان الحكيم رحمه الله يزورني مرارا مع كثرة مهامه وأعماله، والله إن بعض أقاربي لم يزرني كما كان الحكيم يزورني.
ولشدة حرصه على وقته وكثرة أشغاله كان يأتي بوجهاء القرية إلى بيتي ليجمع بين عيادتي وبين قضاء عمله معهم.

ويقول الأخ أبو محمد: كان الحكيم يحببك بالدين بأفعاله قبل أقواله؛ يخاطب الشباب بتواضع جم، يعامل الشباب كإخوته ويفرض احترامه مع لطف شديد، تركت مرة الجبهة وكنت مصابا فاهتم بمعالجتي كأني ما زلت مع الجبهة، وكان يعظم دين الله جدا ويحب طلبة العلم ويحترم قراراتهم، وقد نفر عن طريقه عدد من أهل معان وهم أهل شوكة وبأس وبعضهم حديث عهد بتوبة مع قوة شكيمة وشجاعة قلب، فاستفاد منهم في معاركه كثيرا.

يقول أبو دجانة: كان الحكيم إذا كان في سيارته ورأى رجلا أو امرأة تحمل أغراضا نزل فحمل الأعراض ووضعها في السيارة ثم أركب الشخص ومضى، وفي إحدى المرات رأى

امرأة تحمل حطبا فنزل ثم وضع الحطب في الخلف وجلس بجانبه وأركب المرأة في المقعد الأمامي وأمرني أن أقود السيارة بدلا عنه.

ومرة أركب امرأة وابنتيها وهن متبرجات، فقلت: ما هذا يا أبا مصعب؟ فقال: اسكت ولا تتكلم أبدا، فلما وصل إلى المكان قال للمرأة: لماذا تلبسون هذا اللباس؟ هذا حرام لا يجوز، فقالت: لا نملك ثمن اللباس الشرعي، فقال: -وأشار بيده- هذه مركزيتنا اذهبي إليهم وقولي أرسلني أبو مصعب الحكيم وأريد أن تعطوني لباسا شرعيا، وهم سيعطونك إياه كاملا مجانا.

وعند تحرير مدينة نوى زار الحكيم المستشفى التي فيها وطاقمها مدني، فرأى أن حجاب الممرضات ليس شرعيا، فتكلم مع مدير المستشفى في ذلك، فجمع المدير الممرضات وأخبرهن بالأمر، فقلن: لا نملك ثمن الحجاب الشرعي، فأصعدهن أبو مصعب جميعا في حافلة ومعه أحد الإخوة، ثم انطلق بهن إلى منطقة تدعى الشجرة، فاشترى لهن حجابا شرعيا كاملا.

يقول أبو دجانة: كان أبو مصعب كثير الزيارة لإخوانه ويردد دائما: (البعد جفا)، ويقول: لا تبعد عن إخوانك فهم طيبون، وكان يزور جميع القطاعات وعنده تحمل شديد في العمل، وكان يقول لي: كن كالنحلة، وقد أهداني كتابا بهذا العنوان لأقرأه.

يقول الأخ أبو مالك: حضرت مع الحكيم معركة سد سحم فكان مقيما تحت الشجر ثلاثة أيام لم يغادر ولم يتذمر من ذلك أو يتضجر.

ويقول الأخ أبو النصر درعا: في معركة الجمرك كان يوجد تجمع ضخم للجيش النصيري يقطع الطريق بين منطقتين كبيرتين، وبعد أن حرر المجاهدون نصف الكتل والأبنية جاء الحكيم فاختار مكانا ليكون نقطة طبية لإسعاف الإخوة، وبعد أن اشتدت المعركة تمكن النظام من حصارنا لمدة يومين متتاليين وقطع عنا الطعام والشراب

وجعنا حتى إننا صرنا إذا رأينا رغيفا يابسا تقاسمناه، وبينما نحن على هذه الحال حصار مع قلة نوم مع تعب وجوع جاء إلينا الحكيم ومعه عدة أشخاص من طاقم الطبية، فطلب منا أن نذهب وترك بدلا منا الممرضين، فذهبنا معه ودخلنا النقطة الطبية وصار يحضر لنا السرلاك (طعام الأطفال المساعد لحليب الأم) فكان هذا طعامنا ليومين، فقد وجد الحكيم مستودعا منه في أحد الأبنية فكان يحضر لكل مجموعة حصتهم ويجلس معهم على الطعام حتى فتح الله لنا، جزاه الله عنا كل خير.

ويقول الأخ أبو دجانة: كان أبو مصعب يؤثرنا على نفسه؛ فإذا كنا متعبين تولى هو قيادة السيارة، وفي إحدى المرات كان يقود السيارة وقد أكل الإرهاق قواه، فسارت السيارة بسرعة حتى ارتقت ساترا للجيش الحر.

كان أبو مصعب إذا سمع أن أخا سيترك الجبهة أخذ معه بعض الشباب ثم اشترى بعض الفواكه فيقدمها للأخ ولا يزال يكلمه حتى يعيده، فإذا ترك الأخ كان يقول للإداري: أعطه كفالته ولا تسحب منه سلاحه، وقد تستمر الكفالة للأخ شهرين أو ثلاثة يتألف قلبه بذلك، ويكثر من زيارته.

ويقول الأخ أبو قدامة: كان أبو مصعب شديد السخاء والكرم، يحب النفقة في سبيل الله، ويقسم الحوالات التي تأتيه؛ فيأخذ نصفها ويضع النصف الباقي في الطبية، ومن ذلك أنه في إحدى المرات جاءته حوالة مالية فاستلمتها ثم أرسلتها له مع بعض الإخوة، فلما رجع قال لي: هذا المال للطبية أم لأبي مصعب؟ فقلت: لأبي مصعب، فقال: لقد أخذ نصفه ثم أمرني بوضع الباقي في الطبية.

وحسن خلق الحكيم كان سببا في اجتماع المجاهدين حوله ورغبتهم في العمل معه، بل إن عددا من الممرضين قد انتسب إلى الجبهة بسبب معاملته الطيبة مع الناس، يقول الأخ أبو طارق الحوراني: كنت أعمل مع الإخوة في الدبابات، ثم أردت الانتقال للعمل مع الحكيم لما رأيت من إخلاصه وحسن خلقه، فلما جئته قلت: أريد الانضمام إليك، فقال: وماذا ستعمل معنا؟ فقلت: سأقوم بإخلاء الجرحى، ولكن

عندي شرط، فقال: ما هو؟ فقلت: أن أشارك في جميع المعارك التي تدخلونها، فقال: وهو المطلوب، فعملت معه، فلما خرج أبو مصعب إلى خان الشيح ومن ثَم إلى الشمال حدثت بعض المشاكل فقررت ترك الطبية، فاتصل بي أبو مصعب، وقال: لماذا ستترك الطبية؟ فقلت: الطبية بعدك تغيرت، وأنا أحبك في الله، فقال: إن كنت تحبني فعلا فابق في الطبية، فامتثلت وبقيت معهم.

ومن عجيب حسن خلق أبي مصعب وحبه لإخوانه ما أخبرني به أبو طارق الحوراني، فقال: أثناء وجودي في دار استشفاء صيدا كنا إذا أذنا للصلاة وأردنا بعد ذلك الإقامة يقول الحكيم: لا تقيموا الصلاة حتى يحضر جميع الإخوة فيدركوا معنا تكبيرة الإحرام فأجرها عظيم جدا، وكنا إذا حضر الطعام وجلسنا لنأكل وأمام أبي مصعب قطعة لحم فإما أن يقدمها إلى أحد إخوانه أو يقوم بتفتيتها ووضعها أمام الإخوة، وكان يسمي الخدمة في الدار ببرنامج الطاعة ويضع لنفسه دورا كأحدنا، وكان يوقظ الإخوة لصلاة القيام ويذكرهم بالصيام ويأمرهم بالسحور.

ومن طريف حسن أخلاقه ما حدثني به الأخ أبو مالك، فقال: كنا مرة في نوى ونمنا بها وكان أبو مصعب يشخر إذا نام، فقلنا: الحكيم يشخر، فسمعها، فلما كانت الليلة التالية التف الحكيم بلحاف وجلس يغالب النوم حتى نمنا جميعا ثم نام كي لا يزعجنا بصوت شخيره، ولما ذهبنا إلى الكحيل كان ينام في غرفة لوحده حتى لا يزعجنا كذلك، ولا أذكر أنا استيقظنا مرة قبل الحكيم.

وكان يمنع الإخوة الذين وضعوا أطباق الطعام من رفعها بعد الشبع، بل يرفعها غيرهم لينال الجميع أجر الخدمة.

وإذا رأى أحد أفراد العمل الطبي يقوم بالعمل بطريقة خاطئة لم يكن يقول له: أخطأت، بل يقول: ما رأيك أن تعمل هكذا (للطريقة الصواب)؟ يقول أبو الهيثم: كنت مرة أخيط جرح أخ مصاب، فرآني الحكيم، فأحضر مفجرا، وقال: ما رأيك لو وضعنا له هذا المفجر ليخرج الدم سيكون أفضل، أليس كذلك؟

ومرة جاءنا شخص مصاب بشظية في ظهره من جهة القلب وهو على وشك الموت، فجاء الحكيم ونحن ننعشه فجس نبضه في العنق (النبض المركزي) وقال: مات الرجل، فجس بعض الإخوة نبض يده (النبض المحيطي)، وقال: يوجد نبض، فعاد الحكيم وجس عنقه، وقال: مات، إلا أن بعض الإخوة أصر أنه ما يزال حيا واستمر بالإنعاش، فأحضر الحكيم إبرة وأدخلها في ناحية قلبه وسحب، فلم يخرج دم، فخجل الإخوة وسكتوا، فقال لهم: عجبا لكم كيف سيكون هناك نبض في المحيطي إذا لم يكن في المركزي.

كان كثير الصبر على إخوانه إلا إذا انتهكت محارم الله أو رأى خللا يضر بالعمل وبالمجاهدين.

يقول أبو دجانة: كان الحكيم يحب النظام والترتيب في العمل؛ فدخل علي مرة الصيدلية فوجد فيها خللا وفوضى، فأمسك بي وبأخ آخر ثم ضربنا ببعضنا، ثم أقبل على الجدار فجعل يضربه غضبا فقد كان مجيدا للتايكوندو.

ولما هُجِّر المجاهدون من خان الشيح إلى إدلب كانت شوارعها لا تزال فارغة، فكان مرة راكبا مع بعض إخوانه في السيارة، فخالف الأخ في قيادته ولم يدر حول الدوار، فقال الحكيم: صُفَّ السيارة على يميني وانزل، ثم قام الحكيم بقيادة السيارة، وقال: النظام هو النظام.

ويقول الأخ أبو مالك: كنت أسعد بعقوبة الحكيم؛ لعلمي أنه لا يعاقبني لهوى أو لأمر شخصي بل لمصلحة الجهاد والمجاهدين، كما كان أبو مصعب يترضى الأخ سرا بعد عقوبته ليزيل ما قد يكون علق بقلبه من نزغ الشيطان.

ويقول أبو حمزة: كان أبو مصعب قاس في ظاهره على الشباب قليلا، إلا أنه في الحقيقة رقيق القلب، ومن اهتمامه بإخوانه أنه خصص لهم سيارة (تكسي) ليقضوا بها حوائجهم ويحضروا مستلزماتهم.

وتقول زوجته السورية: كان رحمه الله كريما جدا حسن الخلق محبا للجهاد وللمجاهدين، كان غيورا جدا عزيز النفس مزّاحا وحنونا مع جديته، أحب العبادات إليه الصلاة والصيام والصدقة. حريصا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أحواله.

ويقول الأخ أبو طارق: كان الحكيم يشدد جدا في أمر الغيبة والنميمة؛ فإذا جاءه أحد وأراد أن ينقل له كلاما عن أحد ذكره فورا بقول الله تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) فإذا كانت هناك حاجة حقيقية لنقل الكلام أحضر الأخ المنقول عنه الكلام، وقال للناقل: تكلم الآن أمام أخيك لنحل المشكلة، كما كان أبو مصعب حريصا على ضبط لسانه فإذا تكلم أثناء الرباط بكلمة لغو، استغفر الله، وقال: أسألكم بالله ألا تنقلوها عني، وبعد انتهاء نوبة الرباط يعيدنا إلى بيوتنا ويرجع فيرابط ثلاثة أيام أخرى عقوبة لنفسه.

موقفه من الدواعش:

كان أبو مصعب مدركا لخطورة الاقتتال الداخلي وأنه سيؤدي إلى خلل عظيم في الجهاد ويسمح للنظام بإعادة ترتيب أوراقه؛ لذلك كان يحاول قدر الإمكان تجنب الاصطدام مع الدواعش، بل لم يكن يقول عنهم خوارج، بل يقول: إخواننا عندهم غلو وقد انحرفوا، ويجب أن نعيدهم إلى جادة الحق والصواب، وقد استفاد أبو مصعب من موقفه هذا فتمكن من إنقاذ الجرحى الأسرى عند التنظيم، فإنه لما شاع أن لواء شهداء اليرموك (غالبه لصوص وحشاشين) قد بايع تنظيم الدولة وجرت معركة بينهم وبين جبهة النصرة وجرح بعض جنود النصرة وتمكن الخوارج من أسرهم، ذهب إليهم بنفسه بدون سلاح، وجلس مع أميرهم، وسأله: هل بايعتم تنظيم الدولة؟ فنفى ذلك، فقال له أبو مصعب: أنتم متهمون أنكم خوارج مبايعون للتنظيم، ومعكم ورقة إعلامية رابحة تنفون بها التهمة عن أنفسكم وهم جرحى جبهة النصرة، أجروا معهم لقاء إعلاميا ثم أطلقوا سراحهم حتى تنفوا عن أنفسكم التهمة، فقبل قائد اللواء بذلك وأطلق سراح الجرحى، فكان تخليصهم بفضل الله أولا ثم بذكاء وحنكة أبي مصعب.

وذات مرة قبض الدواعش على امرأة من جبهة النصرة، فغضب الشباب جدا وأخذتهم الحمية، وخشي الحكيم مغبة الأمر وأن يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، فأمسك القبضة وأراد أن يسيطر على الأمر، فقال: أختنا عند إخوتنا، وقد أوذي بسبب هذه الكلمة بعد ذلك كثيرا.

ومن بديع فقهه في التعامل مع الخوارج ومراعاة أفهام الناس -كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)- ما أخبرني به الأخ أبو رغد الباشق، فقال: كان عندنا أربعة شباب من معان رأوا رأي الخوارج، ثم إن أبا العباس مر من المكان الذي هم فيه فانفجرت عبوة، ثم مر أبو صلاح العسكري بعد عدة أيام فانفجرت عبوة أيضا، فقلت لأبي جاسم الأمني: إما أن تعتقلهم وإما أن أقتلهم، وذهبت وجهزت مجموعة من المجاهدين وخرجت لأقتلهم، واتصلت بالحكيم فطلب مني أن آتي إليه، فلما جئت وأخبرته بالقصة قال لي: المسألة لن تقف عند حدود أنهم دواعش وقتلناهم، بل ستأخذ بعدا عشائريا في الأردن، ويقال عنا: أننا نقتل إخواننا، وأن يقتلوا في حوض اليرموك حيث جماعة الدواعش خير من أن يقتلوا هنا، ثم قال لي: دع الأمر لي، فذهب إليهم وجلس معهم في المسجد -وكان الحكيم موضع احترام من الجميع- ووبخهم توبيخا شديدا، وقال لهم: أنا تكفلت بكم، وقلت: لا صلة لكم بما جرى، فإما أن تلزموا الهدوء وتكفوا عن المشاكل أو تذهبوا إلى البريدي في حوض اليرموك إلى دولتكم المنشودة ولا جزاكم الله خيرا، وبعد بضعة أيام ذهب الشباب الأربعة إلى حوض اليرموك.

واستمر أبو مصعب على هذه الطريقة في التعامل مع تنظيم الدولة حتى يأس من إصلاحهم ورجوعهم إلى الحق فشارك في قتالهم بنفسه واقتحم عليهم مع الجنود خلف الدبابة وأضاع جواله في تلك المعركة، وكان يقول للجنود: نقاتلهم كما أمرنا الله فنعاملهم معاملة المسلمين.

يقول الأخ أبو مالك: كان الحكيم يسعف جرحانا وجرحى الدواعش، ويأمر بالصلاة على قتلاهم ودفنهم.

قصته مع قوات (un) الفيجيين:

في إحدى المعارك كان المجاهدون يطاردون النظام في القحطانية، فتحصن العدو في مشفى المهدمة وأمامه نقطة لقوات un فالتجأ النظام إليهم، فجاءهم أبو مصعب الحكيم -وهو يجيد اللغة الإنكليزية- وقال لهم: مشكلتنا ليست معكم ولا نريد قتالكم، نحن نقاتل النظام، فلا تدخلوا ولكم منا الأمان، فقال الضابط المسؤول: لا مشكلة ولكن نريد أن تحافظوا على الممتلكات داخل نقطتنا، ومعكم مهلة إلى الصباح، فوافق الحكيم على ذلك، واستمر القتال طوال الليل، فذهب الحكيم ليقضي حاجته -والمكان مرصود وأي ضوء يشاهده قناص العدو يرميه مباشرة- فأشعل ضوء قداحة فرماه القناص، فجاءت الطلقة بقبعته على رأسه، فجاء إلى إخوانه وقال لهم: شاء الله ألا يرزقني الشهادة وأنا في الخلاء.

ثم تم القضاء على النظام في تلك المنطقة ولاذ من بقي حيا من جنوده بالفرار، فجاءت جماعة الفنوصي وبدأت بنهب محتويات نقطة الفيجيين ثم تبعهم بعد ذلك جنود النصرة، فوقف الحكيم غاضبا وأخذ يصرخ فيهم، ويقول: هذا مال حرام، هذا غلول، قد أعطينا الفيجيين الأمان على أرواحهم وممتلكاتهم، ولم يتمكن الحكيم من السيطرة على الموقف بشكل كامل فاعتذر من الفيجيين، وقال: أنتم في أماننا وسنسعى لإعادة كل ما أخذ منكم.

فلما وصل الخبر إلى مختار جاء مسرعا فتسلم قوات un وهو يريد اعتقالهم ليبادلهم على أسرى المسلمين في سجون الصليبيين، واتصل أمين عام الأمم المتحدة بان كيمون بالمجاهدين، وقال لهم: نعطيكم ما تريدون ولكن حافظوا على حياتهم، ولما علم أبو مصعب بما يريد أن يفعل مختار اشتكى إلى الشرعي الشيخ سامي العريدي، وقال له: لقد أعطيتهم الأمان، وهذا غدر وديننا براء من الغدر، فعقد الشيخ العريدي مجلسا للقضاء واستمع إلى الشهود، ولما تبين له صحة ادعاء أبي مصعب الحكيم أمر بإطلاق سراح قوات un ولم يأخذ منهم شيئا، فامتثل مختار للأمر وحزن حزنا شديدا لما فاته من فكاك أسر خيار المجاهدين في سجون النصارى الصليبيين، فذهب أبو مصعب إليهم فذكر حديث «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»،

وذكر أن أبا مصعب الزرقاوي رحمه الله أطلق سراح جنديين أمريكيين بعد أن ثبت أن مسلما أعطاهم الأمان، وقال: سنخرجهم وتخرج حلوقنا معهم، وقال الحكيم: وأنا أقول كما قال، وبعد إطلاق سراحهم نقلوا إلى نقطة ثانية، فذهب إليهم الحكيم وزارهم، وقد أحبوه لما كان منه في تخليصهم وحسن تعامله معهم، وقد دخل في الإسلام منهم رجل أو رجلان، وقد قدمت تلك القوات لأبي مصعب بعض الأغراض الطبية، كما استسمحهم أبو مصعب لأخذ بعض المجاهدين بعض أغراضهم الخاصة أثناء احتجازهم فسامحوا، وكان أبو مصعب قد حجز تلك الأغراض ومنع من استخدامها حتى يستأذنهم.

عبادته:

كان أبو مصعب مدركا قصر الدنيا وحقارتها، وعالما بما عند الله من الأجر والثواب والنعيم المقيم، فكان حريصا على طرق شتى أبواب البر والمعروف، ففي كل عبادة له نصيب..

كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحذر إخوانه من آفات اللسان، ففي إحدى المرات أراد أحد المجاهدين الأردنيين أن يلقي طرفة، فقال: كان في واحد طفيلي (نسبة إلى طفايلة وهي منطقة بالأردن يتهكم بأهلها أهل الأردن، كما يفعل بعض السوريين بأهل حمص، وبعض المصريين بأهل الصعيد) فقاطعه الحكيم، وقال له: إياك أن تكمل وإلا ستقع في غيبة الطفايلة جميعا وعليك أن تستسمحهم جميعا.

يقول أحد إخوانه: ذهب معي مرة إلى بيت أبي في طفس، فخرجت أخت له صغيرة عمرها ثماني سنوات، فأعطاها بعض النقود وقال لها: أراك في المرة القادمة محجبة يا ابنتي.

ويقول الأخ أبو نصوح: كنت مرة على السفرة مع الحكيم، ومن عادتي أن أقطع الخبز قطعا صغيرة، وربما أكلت بعضها بيدي اليسرى، فضربني الحكيم على يدي، فلم أدر ماذا يريد، حتى فعل ذلك مرارا، ثم قال لي لما رآني لم أنتبه لمقصوده: كل بيمينك.

ويقول الأخ أبو خالد مسلم: كان مهتما بالدعوة إلى الله فلم يكن يترك مكانا إلا ودعا فيه إلى الله وأمر فيه بالمعروف ونهى فيه عن المنكر؛ سواء كان في الشارع أو في المستشفى أو غيرهما، وقال لي مرة في الحملة الأخيرة: لو أقدر على إجبار الإخوة على صيام النوافل لفعلت.

ويقول الأخ أبو دجانة المعاني: مرة كنت في الأردن بعد إصابة الحكيم ورجوعه للعلاج، ومع أنه كان متعبا وقد فقد عينه، إلا أنه لم يكن يفتر عن الدعوة إلى الله، فكان يطبع المطويات ويوزعها في الأسواق والمحلات التجارية، وقد كنت معه في إحدى جولاته فكان يوصينا أن نعطي الناس السكاكر قبل المطوية.
كما كان يرشد الإخوة إلى حسن التلطف في النهي عن المنكر، فقد دخل مرة إلى غرفة العمليات فرأى شابا مخدرا، فقال أحد الطبيون له: فلان يريد أن يدخن، وقد قلت له: هذا حرام، فقال الحكيم: أهذه طريقة الدعوة؟ خذ بيده وتنحى به جانبا وانصحه منفردا وليس هكذا على الملأ، وما زال الحكيم يبين للشاب كيفية النصح حتى قال له: هو الذي سيدخن وليس أنا (يقصد أنه أولى بالنصح مني).
ومن جميل أخبار الحكيم في الدعوة: أن عقيدا أردنيا جاء إليه بعد تحرير جمرك نصيب لأمر ما ومعه بعض العناصر، فوقف الحكيم مع العناصر وصار يذكرهم بالله ويسألهم عن صلاتهم، ويقول: اتقوا الله، وهذا الذي نحن فيه جهاد في سبيل الله.
ويقول الأخ أبو أسامة الشامي: كان الحكيم حريصا على استغلال كل دقيقة من عمره بطاعة أو بعمل صالح، حريصا على التعبد بالصيام وقيام الليل ويحض الشباب على ذلك، ويقول: لا أتصور مجاهدا لا يصوم الاثنين والخميس، كان قريبا من الشباب يزورهم وينصحهم ويساعدهم في حل مشاكلهم ويرابط معهم، كان متواضعا جدا فإذا أخطأ سارع بالاعتذار وربما عاقب نفسه.

يقول الأخ أبو دجانة السني: كان أبو مصعب عابدا زاهدا صواما قواما يحافظ على صيام الاثنين والخميس والأيام البيض ويصوم في الحر الشديد، ويقوم الليل بل يوقظ عناصره الطبيين جميعا لقيام الليل قبل أذان الفجر بنصف ساعة على الأقل، وربما ألزم بعض الشباب بصيام النفل فحاججته في ذلك وقلت: لا يحق لك إجبارهم على النفل، ثم ذهبنا إلى الشرعي وذكرنا الأمر أمامه، فقال الشرعي لأبي مصعب: ليس لك إجبارهم على ذلك وإنما تحضُّهم وتشجعهم، والحق أن أبا مصعب كان ينظر إلى العناصر نظرة الأب المربي لأولاده، وكان يقول لي: دع لي الصغار أبناء الثالثة عشرة والرابعة عشرة وأنا أربيهم.

ولأبي مصعب قصة عجيبة في التربية؛ فقد أسر المجاهدون عددا من عناصر النظام في التلول الحمر، وصدر الأمر بإعدامهم، وفيهم شاب حلبي، فأعدموا إلا الحلبي فقد شهد أحد الإخوة من أحرار الشام أنه كان يساعد في انشقاق العساكر عن النظام، كما أن الشاب كان في طبية النظام كونه دارسا تعويضات سنية ويحفظ أجزاء من القرآن، فعفي عنه وتكفل بتربيته والاهتمام به أبو مصعب، فصار الشاب صواما قواما عابدا وقد رزق الشهادة بعد ذلك.

وكان يمنع ضرب الأسرى ويشتد في القول على من يضربهم، ويقول: الأسير إما أن يقتل وإما أن يعامل معاملة حسنة.

يقول أبو دجانة: أسرنا جنديا من النظام وهو مكسور الفخذ، فأقبلت عليه أفحصه، فحركت رجله ذاهلا أن ذلك سيؤلمه -وكنت سابقا أعمل في الطب الشرعي وأتعامل مع الجثث- ولم يصرخ الأسير من الخوف، فأقبل الحكيم عليّ غاضبا وقال: ماذا تفعل؟ فقلت: أفحصه، فقال: يقول لك إن فخذه مكسور وتحرك رجله؟ خذه مباشرة إلى المستشفى، فأخذته وبقيت معه حتى أُجريت له العملية.

ولأبي مصعب اهتمام عظيم بإصلاح ذات البين ولو كان معه جريح ووضعه يحتمل التأخير فإنه يتركه في السيارة وينزل ليصلح بين المتخاصمين، فقد كان صاحب جهاد

أمة وليس جهاد فصيل، فإذا فتح الجيش الحر معركة ولم تكن النصرة مشاركة فيها كان يذهب ويشارك فيها بالعمل الطبي، بل إنه في معارك الصد في خان الشيح مُنع من دخول المعركة ليبقى مديرا للأمور في الخارج، فذهب إلى الجيش الحر ورتب معهم ودخل المعركة معهم.

يقول الأخ أبو أسامة الشامي: كان الحكيم حريصا في المعارك على أن يكون في الصف الأول مع الانغماسيين، وفي إحدى المعارك طلب مني أن يكون مع الانغماسيين فقد كانت هناك (bmb)ستنطلق بالانغماسيين، فقلت للعسكري: اِعتذرْ منه، كون العدد مكتمل، فذهب الحكيم إلى فصيل أحرار داريا في محور آخر وكانوا سيدخلون أيضا (bmb) فطلب الدخول معهم وأصر، فوافقوا، وعند المعركة فقدته، فسألت عنه، فقالوا: هو عند أحرار داريا، فذهبت إليهم، فقالوا هو في ال (bmb) مع الانغماسيين، فذهبت ولم أستطع أن أقنعه بالرجوع إلا حيلة، قلت له: الإخوة في غرفة العمليات يريدونك، فلما ذهب معي طلبت من الإخوة أن يمنعوه من الدخول ثانية.

يقول الأخ أبو الهيثم: في إحدى معارك الصد في خان الشيح -وكانت المعارك شبه يومية- أصيب هو وأخ آخر، وكانت إصابة الحكيم في كتفه وبطن رجله، فجئت لأعالجه، فقال: ليس عليّ بأس عالج هذا الأخ.

ويقول الأخ أبو قدامة: في معركة اللواء اثنين وثمانين جئت إليه وجعلت أتكلم معه، ولم أكن أعلم أنه أصيب بطلقة وشظية في رجله، فلاحظت أنه عاصب رجله، فقلت: ما بها رجلك؟ فقال: لا شيء ضربة خفيفة، ثم ذهبت بعد ذلك إلى المستشفى فإذا الشباب يقولون: حمدا لله على سلامة الحكيم، فقلت: ما به؟ فقالوا: أصيب، فقلت: قبل قليل كنت معه، فقالوا: نعم ولكن إصابته خفيفة طلقة وشظية، وقد كان واقفا معي وكأنه ليس به شيء.

يقول بعض إخوانه: ذهبت معه مرة إلى غدير البستان لحل مشكلة هناك، فكان الجميع يحترمه ويقدره، وكِلمته عندهم لا يمكن أن تصير ثنتين (تعبير شامي يدل على شدة التزام الناس بقول الرجل) فلم يخرج حتى حل المشكلة.

وربما طلبه بعض إخوانه أو المدنيين ليتدخل في حل مشاكلهم الشخصية.
والوقت عنده غال، ولا بد من استثماره كله فيما يقربه إلى الله، يقول الأخ أبو حمزة: أصبت بجراح في بيت جن، وبما أن الطريق مقطوع فقد نقلت إلى درعا مربوطا على حمار، وقد سقطت عنه على الطريق، ثم أعاد الإخوة حملي عليه حتى وصلت إلى جباثا الخشب، فجاءني أبو مصعب، وقال سنستضيفك عندنا بضعة أيام، فأركبني في السيارة إلى الحميدية وكان الطريق مقنوصا والسماء تمطر، فلما وصلنا إلى النقطة الطبية، قال لي: سأرابط الليلة وابق هنا، ثم أخذ جميع من في النقطة معه إلى الرباط وبقيت وحيدا، ثم عاد فجرا فذهب بي إلى الشيخ مسكين فوضعني في النقطة الطبية، وذهب ليرابط، ثم عاد فسرنا حتى وصلنا مزيريب، وكانت هناك مشكلة مع الجيش الحر فتركني في المقر وذهب لحلها حتى العصر، فوقعت مشكلة مقتل أبي سيف الأحمر فذهب لحلها، وأمر الإخوة بنقلي إلى دار الاستشفاء، فوصلت الدار بعد ثلاثة أيام من لقائي أبي مصعب.

وقَلَّ أن يرى الحكيم أهله، فعنده ثلاثة أيام في الأسبوع رباط في دار الاستشفاء، ثم ثلاثة أيام أخرى يقضيها في المستشفى، ثم يوم في دار الاستشفاء الأخرى.

وكان الحكيم لا يأخذ دواء توكلا على الله ولا يسترقي، يرجو بذلك أن يكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

وكان شديد السمع والطاعة لأمرائه، ومن طريف أخباره في ذلك: أن أمير درعا أبا جليبيب أصدر قرارا، فأخذ الحكيم يناقشه فيه، فانتهى الأمر إلى أن قال أبو جليبيب: القرار هكذا وانتهى الأمر، فاحتقن أبو مصعب جدا إلا أنه امتثل، فلما خرج من الغرفة أراد أن يفرغ احتقانه فوجد أمامه كرسي فركله برجله بقوة شديدة، ثم إن أبا جليبيب اعتذر منه واسترضاه.

صبره:

كان أبو مصعب مثالا على الصبر في شدائد الأمور ونوائب الدهر، فقد رزق من زوجته السورية بولدين حمزة وسمية، فخرج ذات يوم إلى الرباط، ونقطة رباطه تبعد عن بيته سبعين أو ثمانين كم، وترك ابنه حمزة عند نائبه أبي حمزة، فقد كان أبو حمزة قد رزق بالبنات ولم يرزق بصبي، فترك الصبي عنده لترضعه زوجته فيكون ابنا له من الرضاعة، فبينما الصبي يمشي في دراجته إذ تعثر فسقط فاختلج فمات، قال أبو دجانة: فتواصلنا مع الحكيم ليشهد ابنه، فقال لنا: غسلوه وكفنوه وصلوا عليه وادفنوه وواسوا أمه، ولم يسألنا عن سبب وفاته ولم ينزل حتى انتهى رباطه.
ولم يكن هذا الولد الوحيد الذي توفي لأبي مصعب، فقد سبقه ولدان آخران، وكان يقول: من عدل الله تعالى أنه مات لي من كل زوجة ولد.

وكان أبو مصعب مهتما بتربية أولاده ليكونوا من حملة هذا الدين والعاملين في حقله؛ فله ابنتان قد حفظتا القرآن كاملا، وباقي أولاده في طريقهم إلى ذلك، فأولاده أسامة ومصعب وعمر حافظين لثلثي القرآن، وأصغر أولاده حافظ لعشرة أجزاء.
ولشدة اهتمامه بأمر الصلاة كان أولاده يصلون في المسجد منذ نعومة أظفارهم.

وكان أبو مصعب يصبر على الآلام التي تعتريه أحيانا بسبب جراحه حتى إنها عطلته عن كثير مما كان يعمل.

يقول الأخ أبو عبيدة: زوجني أبو مصعب ربيبته، وقد أخبرتني زوجته أنه كان يئن ليلا من الألم، ومع ذلك لا يأخذ دواء أخذا برأي من يقول بأن ترك التداوي أفضل.
قال أبو عبيدة: ولقد قال لي الحكيم مرة: تعبت ولم أعد قادرا على خوض المعارك كالسابق والشظية التي قرب قلبي تتحرك وتزعجني.

وكذلك كان يصبر في التعامل مع الفصائل ولا يسارع إلى القتال؛ فقد حدثت مشكلة في بصرى الشام، فقد اعتقل أحمد العودة عنصرا من جبهة النصرة وسيطر على أحد مقراتهم وكان يريد إخراجهم من بصرى الشام بالكلية بناء على طلب من المخابرات

الأردنية، كما أن النصرة كانت قد اعتقلت أحد أبناء قرية العودة بتهمة أنه داعشي، يقول الأخ أبو جعفر طرقات: فتكلمنا مع المشايخ من أجل حل المشكلة وكانت علاقتي وعلاقة الحكيم مع العودة جيدة، فخرجنا بعد صلاة العيد وذهبنا إلى أحمد العودة، وهناك جرت مشكلة بين أبي رغد الباشق وبين أحد عناصر العودة، وقد تمكن الحكيم -وكان حكيما كلقبه- من حل المشكلة بدون سلاح وقتال.

ورعه:

أبو مصعب ورع في أموال الجهاد لا يترخص فيها ولا يتهاون بشأنها ولو جاءته لشخصه، يقول أبو دجانة: كانت تأتي أبا مصعب أموال ويقول له أصحابها: هذه لك خاصة، فكان يدفعها إلي، ويقول: وزعها على المجاهدين.

يقول الأخ أبو حمزة: لم يكن أبو مصعب يسمح لأحد من الفريق الطبي معه بتشغيل المكيف في السيارة، واستمر على هذا المنع حتى أخذ إذنا من الإدارة العامة بذلك، وكان قبل ذلك إذا شغّل المكيف في سيارته يدفع خمسمائة ليرة (تعادل وقتها دولارين تقريبا)، وإذا ركبت معه زوجته وطلبت تشغيل المكيف ألزمها أن تدفع أيضا، وكان يقول للشباب: من أراد تشغيل المكيف فليدفع، وكان يركب سيارة فان متواضعة، فكان دائما يطلب من الشباب أن يساعدوه في دفعها حتى يدور محركها.

وكان لا يسمح بقيادة السيارات بسرعة تزيد على المائة إلا في الحالات الضرورية كرصد القناص لطريق مكشوف أو وجود جريح تتطلب حالته ذلك.

ويقول الأخ أبو مالك: طلب الحكيم سيارة لنائبه وللإداري ولم يطلب لنفسه مع أنه بحاجة لسيارة فقد كانت سيارته متواضعة، وعندما توفرت بعض السيارات رفض أن يبدل سيارته التي تسير على المازوت بسيارة تسير على البنزين لارتفاع سعره مقارنة بالمازوت.

وقد طلبت منه إحدى المستشفيات بطريق السد أن يعمل معهم فاعتذر بداية

لانشغاله بالجهاد والقتال، فقالوا: نحن بحاجة ماسة لك، فقال: أوافق بشرط ألا أُعطى راتبا حتى لا أتقيد بدوام وحضور وانصراف، فتمت الموافقة على ذلك، فسكن ببيت قرب ساتر النظام ليعمل في النهار في المشفى ويرابط في الليل.

يقول الدكتور أبو حسين مدير المشفى: كان أبو مصعب متقنا لعمله، وهو من القلة الذين يهتمون باختصاصهم بدقة، وهو شديد الإخلاص في عمله، وقد عرضت عليه مبلغا مرتبا لقاء عمله فلم يقبل بأخذه -مع أني أعلم أنه كان وقتها في ضائقة مالية شديدة فقد كان مقدما على الزواج وزوجته لديها ستة أيتام- وقال: أنا لم آت لهذا الأمر.

وكان لأبي مصعب قبول في جميع المستشفيات، فإذا طلب من أحدها شيئا سارعوا بتلبيته، وقد يطلب منهم شبابا ليشاركوا في النقطة الطبية في المعركة فلا يبخلون عليه بذلك، ويقول الذاهبون معه: طالما أن الحكيم طلبنا فنحن مستعدون للمشاركة.

وكان الحكيم عند عدم وجود معركة يدور على المستشفيات ويقدم لهم ما يقدر عليه من المساعدة، ويقول: إذا أردت التقرب منهم فاخدمهم.

ومن حسن تعامله مع المستشفيات والأطباء الخاصين أنه كان يرضخ لهم من الغنائم، فكانت المستشفيات تقدم له ما يحتاج إليه في المجال الطبي، وكان الأطباء الخاصون لا يأخذون أجرة من فريقه الطبي.

شجاعته:

اشتهر أبو مصعب بشجاعته وقوة عزيمته وشدة بأسه، فلم يكن يرضى إلا أن تكون النقطة الطبية في مكان متقدم قريب من الاقتحاميين، ولم يكن يقبل أن يتخلف عن أي معركة، فشارك مقاتلا في معارك تحرير المخافر الحدودية، ومعارك تحرير تل الجابية، ومعركة سرية العمان، ومعارك الشيخ مسكين، ومعارك تل الحارة، ومعارك

جمرك درعا، ومعارك جمرك نصيب، ومعارك التلول الحمر الشرقي والغربي، ومعركة مشفى جاسم، ومعارك سرايا الحلبي وسرايا زبيدة، ومعارك تل الهش وتحرير مدينة نوى، ومعارك نبع الصخر، ومعركة المهدمة، ومعركة الرواضي والحميدية، ومعارك مدينة البعث، ومعارك جباثا الخشب، وقاد معركة تحرير اللواء (82)، وذلك بعد انشقاق عدد كبير من العسكريين عن الجبهة وتشكيلهم فصيل جند الملاحم بعد مشكلة مقتل أبي سيف الأحمر، وكان المجاهدون قد اقتحموا الشيخ مسكين ولما يحرروا اللواء (82) فحدث الانشقاق، فقرر الحكيم أن يتابع المعركة ولا يسمح للمشكلة بأن تعطي النظام وقتا يرتب فيه صفوفه، فاتفق مع الفصائل على ذلك، وتم الاتفاق على أن يضرب لواء المثنى كتيبة النيران؛ لأنها تكشف اللواء، وبعد تحرير الكتيبة يقوم مجاهدو جبهة النصرة باقتحام اللواء، فاستطلع أبو مصعب بنفسه، ثم وضع النقطة الطبية في الخطوط المتقدمة، وبمجرد أن حرر لواء المثنى كتيبة النيران اقتحم مجاهدو الجبهة يتقدمهم أبو مصعب ومعهم بعض المجاهدين من الفصائل الأخرى وفتح الله عليهم، وآخر من بقي في اللواء قائده وقاوم حتى تمكن المجاهدون من إصابته بقدمه ثم أسره وقتله، وبعد ذلك تسليم جثته للنظام مقابل أسرى.

وفي هذه المعركة أصيب الحكيم بطلقة في فخذه اليمنى وكانت إصابته في اللحم، فقال لأحد أفراد الطبية: خيطها بسرعة، فخاطها، ثم قام أبو مصعب بربطها وأكمل المعركة حتى فتح الله عليهم، وبعد انتهاء المعركة لم يضع أبو مصعب لأمته بل ذهب مباشرة فاستطلع حاجز الكهرباء وهو يتعكز على بارودته واتخذ قرارا بإكمال التحرير، فانطلق بثلاثين عنصرا من المجاهدين من الجبهة وغيرها ففتحوا ثغرة في ساتر النظام ودخلوا منها، ولشدة الظلام لم يروا شيئا، فتقدمت دبابات العدو من جهة أزرع وبدأت التمشيط على الشباب، فقتل أحد المجاهدين وأصيب أكثر من نصفهم بجروح، فقرر المجاهدون الانسحاب بعد ساعتين من بدء العمل، وكان من يقاتل في جهة النظام شيعة أفغان، وبعد انسحاب المجاهدين تسلل عدد من عناصر النظام وقتلوا أحد المجاهدين، وتم تثبيت خط الرباط، وفي هذه المعركة أسر أبو مصعب مقاتلا شيعيا، فقد رأى أثناء المعركة شخصا فاسترابه، فقال له:

من أنت؟ فقال: فاطمي، فقبض عليه أسيرا وسلمه للجيش الحر، وتم مبادلته بعد ذلك.

وقد أصيب جرح الحكيم بالالتهاب ونقل إلى مشفى درعا، فقام الطبيب بقص بعض الجلد بعد أن خدره، مع أن أبا مصعب كان يرفض التخدير، إلا أن شدة الألم أجبرته على الموافقة.

يقول أبو دجانة: كان الحكيم قد سجل اسمه مع الانغماسيين في الجبهة، فسألته مستنكرا: لماذا لا تسجل استشهادي؟ فقال: لست أهلا لذلك فنحن لم نصل إلى درجة الإيمان التي وصل لها الاستشهاديون، وأرى أنه كان يحب القتال وخوض المعارك ولذلك لم يسجل استشهادي وإلا فإنه كان عندما ينغمس في العدو يلبس حزاما ناسفا لتفجيره في صفوفهم إن اضطر إلى ذلك.

يقول الأخ أبو مالك: أول معركة شهدتها مع أبي مصعب كانت معركة الصد في الشيخ مسكين، فلما خرجنا من مقرنا حملت مع أحد الإخوة الصندوق الطبي، فلم أسر إلا قليلا حتى التوى كاحلي وسقطت، فقال الحكيم ممازحا: إذا أصبت فابق هنا -وكنا نتسابق إلى المعارك- فتابعنا طريقنا إلى أن وصلنا إلى النقطة الطبية في أرض المعركة قبيل المغرب، وقد انسحب جميع من في المحور من الجيش الحر -ومحور الجبهة في مكان آخر- ولم نكن نعرف أن في الشيخ مسكين بعضا من أهلها، فوضعني في نقطة الرباط ووضع الشاب الآخر في النقطة الطبية، وصار يذهب ويجيء، فجاء بعض المقاتلين من أهل الشيخ مسكين، وقالوا: نحن هنا من أربعة أيام وقد تعبنا وسننسحب ويجب أن تخرجوا معنا وإلا سيهلككم جهلكم بالمنطقة ولن تستطيعوا التحرك بدون دليل، فجمعنا أبو مصعب واستشارنا، فقلنا: ننسحب معهم ونخبر الإخوة العسكريين ليأتوا ويسدوا الثغر هنا، فأخذ برأينا وبدأنا بالانسحاب، وكلما قطعنا مسافة أدخلنا أبو مصعب بعض البيوت خوفا علينا من الرصد، حتى وصلنا وقد أنهكنا التعب، فارتميت أرضا لا أقوى على الحراك، أما الحكيم فقد أخبر العسكريين ثم سار معهم ثانية إلى المكان، ولم يسترح.

ويقول الأخ أبو دجانة المعاني: كنت معه في معركة التل الأحمر في جباثا، فكان ذا همة عالية، وفي وسط القصف والتسلل لم يكن ينسى أن يذكرنا بالله ويثبتنا، كان صاحب شجاعة وإقدام لا يخشى الموت، ولياقته أعلى بكثير من الشباب الذين هم في عمر أولاده.

في خان الشيح:

طُلب من أبي مصعب الذهاب إلى خان الشيح بسبب نقص الفريق الطبي هناك، وكان من المقرر أن يبقى هناك شهرين، إلا أن الحاجة إليه طبيبا وأميرا أبقته حتى تهجير أهل خان الشيح.

وقد وقع الاختيار على أبي مصعب خصوصا لحسن خلقه وقدرته على الإدارة وحسن التعامل مع الناس.

وقد طلب منه قبل ذهابه تعيين نائبا بدلا عنه، فلم يفعل إلا بعد جمع الإخوة واستشارتهم، فقد كان كثير طلب النصح والشورى، وكان ينصح الشباب قائلا: إذا أردت الإقدام على أمر فاستشر واسأل الكبير والصغير.

يقول الأخ أبو نصوح: لما وصل الحكيم إلى خان الشيح تسلم في البداية الملف الطبي، وأخذ يسأل عن النواقص لدينا ولماذا يوجد نقص أصلا، وقد تبين له أن جميع الأطباء الذين يمكن الاستفادة منهم قد فروا إلى مناطق النظام.

قال: ثم ذهب أمير خان الشيح إلى درعا ليجلب ذخيرة، فقد كان من المفروض أن يشن المجاهدون في خان الشيح معركة لفتح طريق داريا، وكان أبو مصعب ممن وضع خطة المعركة، فاستشرنا أبا جليبيب وأبا أحمد أخلاق، فقالا: كل من سيدخل المعركة سيقتل لا محالة، وذلك أنه يتوجب على المجاهدين السير مسافة ثلاثة عشر كم بين جبلين، ولم تفتح المعركة لخطورتها ولنقص الذخيرة.

ويقول الأخ أبو البراء الأردني: جاء أبو مصعب إلى الغوطة الغربية ومعه طبيب آخر على إثر مشاكل حدثت داخل الجماعة، وكان من عادته أن يجمع الخصوم مع بعضهم ثم يدلي كل بحجته أمام الآخر، وبعد مجيئه بشعر غادرت الغوطة إلى درعا ولم ألقه بعدها، نسأل الله أن يجمعنا في جنات الخلد برفقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

كان أبو مصعب يبذل جهودا عظيمة لسد الثغر الطبي الموكل إليه، حتى إنه احتاج طبيبا عظميا ولم يكن متوفرا، فأرسل من خطفه من مناطق النظام، فلما جيء به أعطاه الأمان وألزمه بالعمل وخصص له مرتبا، وكان قدوم أبي مصعب ترميما للملف الطبي ليس لجبهة النصرة فقط بل للمنطقة بأسرها، وقد ضم أربعة فصائل في دار استشفاء واحدة، وكان يستقبل كل جريح يخرج من المستشفى حتى غدت الدار عامة لتجمع خان الشيح كاملا.

وبعد معركة تحرير دير خبية بشهر تم تعيينه أميرا عاما لجبهة النصرة في خان الشيح، إلا أنه كان كأنه أمير خان الشيح بكامل فصائلها، فقد كان مثال الأخ الشفيق، واشتد الحصار على خان الشيح بعد سقوط داريا وقدسيا، فكان يسمح للشخص برغيف واحد يوميا.

قال أبو نصوح: كان أبو مصعب يصلي الفجر ثم يجلس يذكر الله إلى طلوع الشمس، ثم يقوم فينام في غرفة منفردا عن الآخرين، ولم أكن أعلم لماذا يفعل ذلك حتى أخبرني الشباب بعدها بقصة الشخير، وعندما هجرنا إلى درعا أخبرت عن الحكيم فإذا الإخوة يصفون رجلا مختلفا تماما عن الحكيم في خان الشيح، فقد كان عندنا لينا جدا.

ويقول الأخ أبو أسامة الشامي: كنا محاصرين في الغوطة الغربية في خان الشيح، واحتجنا حاجة شديدة إلى طبيب، فطلبنا من الشمال ومن الغوطة الشرقية ومن درعا، فلم يلبنا إلا أبو مصعب، فقد جاء إلينا وبصحبته طبيب جراح، وكان قدومه

بعد معركة تحرير دير خبية وهناك جرحى، فكان قدومه فرجا ورحمة؛ إذ تمكن مع الطبيب الآخر من إسعاف الجرحى وعلاجهم، وقام الطبيب الجراح بتعليم الشباب الجراحة.

كانت همة الحكيم عالية؛ فمع أن في صدره شظية قرب القلب إلا أنه كان يوميا يخرج فيتدرب صباحا مع الانغماسيين مع شدة تدريبهم -وكان مقرهم قرب مقرنا- وكان يئن أحيانا ليلا من الألم، ولم يكن يخبر بذلك أحدا، فكنت أطلب منه أن يريح نفسه ويكف عن التدرب مع الانغماسيين فكان يرفض ذلك، وبعد عودته من التدريب كان يأتي إلى المقر فيعد الطعام لنا، فإن وجده معدا أصر على أن يصنع لنا شيئا بيده، ثم يساعد الشباب في رفعه وتنظيف الأطباق والصحون، وربما نظف الخلاء سرا مع أن من في المقر كانوا في سن أولاده.

ومن بديع أخباره ما ذكره الأخ أبو أسامة الجولاني، فقال: في آخر أيام الحصار في خان الشيح ذهبنا لتبديل الرباط، فلما ركبنا في السيارة (الفان) لم يقبل أبو مصعب أن يركب في المقعد الأمامي جانب السائق، وإنما ركب في الخلف على ركبه، وقال لأحد الإخوة: اركب في الأمام، فقال: كيف وأنت أحق؟ فقال: هذا أمر، فلما وصلنا -ومعنا جراب من طعام وقربة ماء- أخذ الجراب من يدي، فقلت: دعه لي أنا أحمله، فقال: هذا أمر، أعطني إياه، فحمله على كتفه وسار به مسافة حتى خدرت يده، فأعطانا إياه، ثم طلب قربة الماء وحملها، فلما وصلنا إلى نقطة الرباط تم تقسيم النوبات وأماكن الحراسة، وكان مع أبي مصعب اثنان من الإخوة، فقال لهم: أنا سأحرس النوبة الأولى وأنت الثانية وأنت الثالثة، فذهب المجاهدان فناما بانتظار نوبتهما، واستمر الحكيم مرابطا طوال الليل حتى طلع الفجر، فأيقظهما للصلاة، ثم في الصباح أخذ الحكيم يدور على النقاط ويحرض المجاهدين، وكان مجرد رؤيته كافيا لرفع المعنويات.

كان أبو مصعب يريد أن يبايع جميع من في خان الشيح على الموت، إلا أن ارتقاء أعداد كبيرة من الشهداء وإصابة أعداد أخرى بالجراح حالت دون ذلك.

أصيب الحكيم بجراح في قدمه في معارك الصد في خان الشيح، ثم بدأت المفاوضات مع النظام من أجل الخروج من المنطقة، فاشترط النظام تسليم المهاجرين فرفضت فتح الشام ذلك بشدة.

وعدد المهاجرون في خان الشيح ثلاثة، فأرادوا البقاء في المنطقة وتفخيخ أنفسهم والقتال حتى الشهادة، وكان الحكيم عندما اتخذ هذا القرار ولى الإمارة لأبي جعفر، فلما بدأ الناس بالصعود بحافلات النقل، قال أبو جعفر للحكيم: اركب، فقال: سأبقى هنا، فقال: آمرك أن تركب فأنا الأمير الآن، فلم يسع الحكيم إلا أن يمتثل، وتحسبا لأي طارئ -فقد كان للنظام جواسيس- أشيع أن الحكيم قد بقي في الخان، وأمر أبو جعفر جميع عناصر جبهة النصرة أن يلبسوا لباسا واحدا ويتقنعوا، وحمل الحكيم طفلا صغيرا معه، فلم يتمكن الجواسيس من معرفة المهاجرين، وصدق الإخوة الإشاعة فأخذوا يبكون لفقد الحكيم وحزنوا حزنا عظيما، فلما وصلوا إلى الشمال ونزلوا من الحافلات عرفوا الحكيم من مشيته فعاد حزنهم فرحا، وكان الحكيم يتصل بالجنوب وينصح المجاهدين ويرشدهم ويطمئن على أحوالهم.

شهادة الشيخ أبي أحمد أخلاق:

الدكتور أبو مصعب الحكيم هو أخ ذو شخصية فريدة جمعت بين عدة صفات متميزة تجعل منه يستحق لقب الطبيب الاقتحامي، وهذا الأمر نادر في زماننا.

الدكتور أبو مصعب جمع بين شخصية القيادة وأسلوب الداعية وجرأة الانغماسي وشفقة الطبيب.

كان محبوبا بين إخوانه على مستوى الجماعة وكذلك على مستوى الأطباء والعامة.
نظم أمور المفصل الطبي وضبط من تحته من إخوانه بالمحبة والشدة عند الحاجة، فكان مفصلا متميزا بعمله، ورأيت من الذين كانوا يعملون معه محبة شديدة لقائدهم، حتى إنه كثيرا ما يذكرونه في مجالسهم ويذكرون حسناته وإنجازاته.
كان نجاحه وشخصيته المتميزة سببا لاختياره بأن يكون موفدا من الجماعة إلى

منطقة خان الشيح المحاصرة، وذلك بعد أن أعلنوا حاجتهم لطبيب وكذلك حاجتهم لقائد يقود الإخوة من جنود جبهة فتح الشام في المنطقة، ويكون شخصية مقبولة وقوية تستطيع التواصل مع الفصائل العاملة في تلك المنطقة.

وعندما طرح الأمر عليه لم يتردد ولم يتأخر، ورأى أن العمل الذي سيقدم عليه أهم وأخطر من العمل الذي هو فيه، فاقتحم المخاطر وسافر إلى منطقة خان الشيح رغم صعوبة الطريق وخطورته والحصار الذي كانت تعاني منه المنطقة.

وبالفعل كان شخصية متميزة ومتوافقا عليه بين الإخوة ومع الفصائل العاملة في المنطقة، وبقي هناك إلى أن خرج وإخوانه من المنطقة المحاصرة إلى الشمال.

من الأمور المميزة عنده السمع والطاعة رغم كبر سنه ومكانته كطبيب والمنصب الذي كان يشغله، تقبله الله تعالى وجعل مكانه في عليين.

شهادة الأخ أبي خليل معربة:

كان الشيخ تقبله الله صاحب همة عالية، حريصا على دعوة الناس، خدوما لإخوانه المجاهدين، من المواقف التي أذكرها معه:

في المعركة التي أصيب فيها الشيخ كان الجيش يحاصر القرية التي كنا فيها من ثلاث جهات وكان عدد المجاهدين قليلا، كان الشيخ في الخط الأول يصد الجيش مع إخوانه مع حاجتنا للكادر الطبي.

وكان أبو الزبير تقبله الله هو الأخ المسؤول.

فلما رأى أنه لا يوجد من يداوي المصابين بدأ يبحث عن الحكيم، فسألني: هل رأيت الحكيم؟ فقلت له: هو في الصف الأول مع الشباب، فقال لي اذهب وأخبره بينك وبينه، قل له: «أسألك بالله يا شيخ ارجع إلى الوراء إخوانك المصابون لا يوجد من يداويهم».

فذهبت وأخبرت الحكيم فعاد وبدأ يسعف الإخوة، كنا في المسجد وسط البلد، وبين الفينة والأخرى تأتي رمايات على المسجد.

خرج أحد الإخوة من المسجد وبدأت الرمايات وكانت قريبة جدا، فخرج الحكيم مسرعا يتفقد الإخوة، فجاء صاروخ راجمة قريبا منه ودخلت شظية في عينه وشظية في صدره، فدخل إلى المسجد مسرعا وتمدد على الأرض، وقفنا فوق رأسه لنطمئن عليه كان صابرا محتسبا يذكر الله كثيرا.

وكان الحكيم صائما في ذلك اليوم، وجاء أحد الممرضين إليه يريد منه أن يفطر، فقال له: لا، فذهب إلى الأخ أبي الزبير، وقال له: يجب أن يفطر، فقال له أبو الزبير: أفطر يا حكيم، فقال: بل أصبر لم يبق للمغرب إلا القليل، فكرر عليه الأمر فرفض وصبر، ثم غابت الشمس وقال له أبو الزبير: أفطر يا شيخ. فقال الحكيم: متأكد من غياب الشمس، قال له: والله لقد غابت، فأفطر، فقال لنا الحكيم وكان لا يزال يلبس جعبته ومتمددا على الأرض: أعطوني حبات التمر من الجعبة، فأخرجناها له وأفطر عليها، وكانت إصابته تحتاج أن يخرج للعلاج في الأردن، فخرج وبعد علاجه عاد مرة أخرى، وكان قد فقد عينه.

موقف ثاني: كان الشيخ متواضعا يخدم إخوانه، ومن شدة تواضعه أني صادفته مرة من المرات في وقت الظهيرة، وكان الإخوة قائلين (من القيلولة) فذهبت إلى الحمامات، فكان الشيخ أكرمه الله قد دخل وأغلق الباب خلفه وبدأ بتنظيفها وإصلاح عطل فيها.
أسأل الله أن يتقبله ويجعل مثواه الجنة، وأن يثبتنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

شهادة الأخ أبي خالد مسلم:

الحكيم أبو مصعب قد كان له من اسمه نصيب وشهادتنا به مجروحة.
انتقل الحكيم أبو مصعب إلى الغوطة الغربية قادماً من درعا في بدايات عام (2016) لإلحاح الإخوة إلى ضرورة وجود كادر طبي تُسانَد به الجماعة وعامة المسلمين في

المنطقة لضعفها وفقرها طبياً..
ولحكمة الحكيم واقعياً بين إخوانه وأثره الطيب في تصفية الشحناء وتنقية القلوب، فقد كان أكثر ما يُذكّر به إخوانه ألا يحملوا غلاً على أحد، وادعوا الله أن يجعلكم «ممن أتى الله بقلب سليم».

وكان يكره جدا ذكر الفصائل بسوء، وكان يسعى لوحدة الصف مع الفصائل.
وقد قدر الله أن يجعله أميراً علينا في خان الشيح، وعندما أخبره الإخوة في درعا عن إصدارِ قرارِ تعيينه أميراً عليها رفض الأمر، فاستيقظ صباحاً على وقع نشر القرار بين الإخوة فاستسلم للأمر الواقع وأخذه بحقه ولم يفتر فيه قط..

وأول ما قدم سعى لتوحيد الجهود ورص الصفوف.

كان صاحب هم وهمة لا يعلم بها إلا الله، وعندما تجلس معه لا تستطيع إلا أن تحاول أن تجاريَه في الطاعة ومساعدة إخوانك في المقرات وقضاء حوائجهم على أكمل وجه، وقد جلست معه في أحد المقرات مدة من الزمن فرأيته لا يتكبر في عمل، يعمل دون أن يشعر به أحد، تخرج إلى المطبخ لتراه يقوم بإعداد الطعام وغسل الصحون فتنظر إليه على أنه الأمير والأب والأخ والصديق في آن واحد..
ومما كان يردده دائماً: «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى».

وكان من دعائه دائماً: «اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا مع الأنبياء» أحبه وأعجب به القريب والبعيد، فقد كان لا يلتفت إلى المسميات والخلافات الجزئية ويحاول إماتتها وإحياء روح الأخوّة بين جميع الفصائل.

وقد شارك إخوانه في صد الحملة على خان الشيح وأصيب عدة مرات في الصفوف الأولى.. وكنا نقول له: لن نسمح لك بالاقتحام، تراجعْ إلى الخط الثاني، وإذا به يدخل مع فصيل آخر من محور ثانٍ، وكتب الله له الإصابة حينها ببعض الرضوض والشظايا.

فقلنا له: لماذا فعلت ذلك، فقال: كلنا مجاهدون، ولم تسمحوا لي بالدخول معكم فدخلت مع غيركم..

وذات يوم ضمن الحملة واستنزافها لنا، طلبتْ إحدى النقاط أن نرسل لها أخا أو اثنين لسد نقطة رباط، والحكيم يعلم أن الإخوة مستنزفون متعبون جميعهم، فلم يطلب ولم يأمر أي أحد..

نظرنا إليه في غرفة العمليات وإذا به يلبس جعبته ويُجهز نفسه للخروج، فقلنا له: ماذا تفعل؟ فقال: سأخرج لأرابط في النقطة.
فكان نعم الأمير والأب والأخ والصديق لإخوانه.
نسأل الله أن يجمعنا به في جنات النعيم على سرر متقابلين...

شهادة الأخ عمر الدمشقي:

كان الحكيم شديد التأسي بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام فكان لنا الأب والأخ والمربي.

كان أول من يستيقظ لصلاة قيام الليل فيتوضأ ويصلي ثم يوقظنا لنصلي ما تيسر قبل الفجر، وما إن نستيقظ حتى يقوم بطي الأغطية التي كنا ملتحفين بها ثم يرتبها جانبا.

كان أبا لنا يحثنا دائما على العبادات ويذكرنا بالسنة، حتى إني ربما ناولته الشيء باليد اليسرى فيومئ لي أن أعطني باليد اليمنى، وكذلك لو أردت أخذ شيء منه باليسرى أمسك باليمنى ووضع الشيء فيها، كان من تواضعه لإخوانه أنه كان يضع الطعام لهم وإذا كان فيه لحما فلا بد أن يفتته بيده ويضعه أمام الجميع، كما يقوم بتوزيع الخبز والملاعق علينا بنفسه، فإذا اطمأن أن الجميع بدأ الطعام أكل عندئذ، وربما أطعم بيده من هو عن يمينه أو يساره، فإذا شبعنا كان أول من يقوم وينقل الأواني إلى المطبخ ويجمع الطعام ويبدأ مباشرة بتنظيفها، فكان جميع من

حوله يستصغر نفسه لعلو همته وتواضعه مع كبر سنه بالنسبة لمن في المقر. لا ترى منه في مجالسه وفي حياته اليومية إلا العطف والحنان؛ فإذا تعلق الأمر بالقيادة رأيت منه شدة وحزما، فلم يكن يسمح بالتقصير أبدا، وكانت المدة التي قضاها أميرا في خان الشيح أفضل مدة مرت على جبهة النصرة في خان الشيح، مع أنه كان دائما يفر من الإمارة مع أنه أخلق الناس بها.

عندما جاء إلى خان الشيح كان أول ما بدأ به إصلاح مجلس الشورى -فقد كان الأمير السابق يستشير عددا من الإخوة الذين يثق بدينهم ولكنها لم تكن شورى كما ينبغي- فوسع مجلس الشورى وأدخل فيه قيادات المفاصل، وأدخل عددا من الأشخاص الذين رُشحوا لذلك، وقد كنت أحد من أدخله الحكيم إلى مجلس الشورى كوني مسؤول المكتب الإعلامي.

وضع الحكيم نظاما داخليا لمجلس الشورى كيف يعقد ومتى يحل وكيف يتخذ القرار وهل يشترط الإجماع أم الأكثرية للإلزام.

ومن أكثر ما أذكره من ضوابط الشورى أن الحكيم كان يقول: لو طرح موضوع في الشورى وقال جميع الحضور: نعم، إلا واحدا قال: لا، ثم اتخذ القرار بالإيجاب ثم تبين أن القرار الصحيح السلب فلا يحق لمن كان رأيه السلب أن يقول: ألم أقل لكم؟ بل عليه أن يدافع عن قرار مجلس الشورى، ويقول: هذا قرارنا، فالبركة في الشورى والجماعة.

وكانت عناصر الجبهة في خان الشيح في مدة إمارته تُحترم بشدة احتراما للحكيم.

كان الحكيم حريصا على الحياة الاجتماعية للإخوة؛ فمرة جمع المتزوجين وأخذ ينصحهم نصائح أسرية، كيف تعامل زوجتك وكيف تقوم على رعاية بيتك وكيف تربي أبناءك... إلخ.

كما جمع الإخوة القدامى في جبهة النصرة فأثنى عليهم وشكرهم وأهداهم هدايا رمزية وكنت بينهم، ثم قال لنا: سنلعب لعبة، سأخرج إلى خارج الغرفة ثم أكتب على ورقة جملة مكونة من ثلاث أو أربع كلمات، ثم سيخرج من الغرفة شخص وأعطيه الجملة مشافهة لمرة واحدة، ثم أدخل فيخرج الشخص الأول من الغرفة ويعطي الكلمة مشافهة لمن يليه، ثم يخرج هذا الثاني من الغرفة ويعطي الكلمة مشافهة للثالث، وهكذا حتى تمر الجملة على جميع من في الغرفة، فقلنا: مستعدون، ولم نكن نعرف المغزى من هذه اللعبة، بل لم نكن نظن أن وراءها مغزى، وحسبنا أنها للهو والتسلية فقط.

وكانت الكلمة: «الأخ العسكري طلب أربع قذائف إلى الكمين»، وتنوقلت الكلمة بالطريقة التي حددها الحكيم حتى وصلت إلى آخر شخص، فاستدعاه الحكيم، وقال له: ماذا قال لك من قبلك؟ فقال: قال لي: أبو راشد البزال سرق أربع قذائف ب90 وباعهم وهرب بثمنهم إلى لبنان!

وكنا عشرين أو ثلاثين أخا، وهنا وقف الحكيم ليبين لنا المقصد من هذه اللعبة، فقال لنا: سبحان الله في خمس دقائق عشرون أو ثلاثون أخا كلهم مسلم مجاهد نظن بجميعهم خيرا، ومع ذلك انظروا كيف تغيرت الكلمة تماما وتحرفت، فهكذا تصدر الإشاعة، فعليكم بالتثبت والتبيّن.

وفي المعارك كان الحكيم يحرص أن يكون في الجبهات ونقاط الرباط ويزور غرف العمليات، فكان كالمكوك، لم يكن يهدأ أبدا، وبما أنه طبيب فهذا كان عمله في بداية المعركة، فإذا سقط جرحى سارع لعلاجهم والاهتمام بهم، وقد أصيب في إحدى المعارك في خان الشيح وكان مقتحما مع الشباب، ولكنها لم تعقه ولله الحمد. قدم من درعا إلى خان الشيح عبر طريق يمر بحواجز النظام، ولذلك اضطر إلى حلق لحيته، فلما وصل إلينا كان دائم التغطية لوجهه بالشماغ حياء من أن يرى وهو حالق لحيته، حتى إذا طالت وملأت وجهه كف عن تغطيته.

عندما يحدث قصف في وقت متأخر من الليل ويكون مظنة سقوط جرحى كان الحكيم يتواصل معي كوني أحب السهر، ويقول لي: اتصلت بالطبيب الفلاني في المشفى ولكن يبدو أنه نائم أو غير موجود أو غير مناوب، فإذا كان لديك تواصل مع المستشفى فاسألهم: هل عندهم جرحى أو إصابات؟ فقد كان يسارع لإغاثة الملهوف. ولا أذكر أن الحكيم كانت له سيارة خاصة، فقد كان يركب أي سيارة أحيانا، وغالبا كان يتنقل على الدراجة النارية إما يقوده بنفسه أو يركب مع أي أخ ويقول له: أوصلني بطريقك، ولا أذكر أن له مكتبا خاصا أو مقرا خاصا أو غرفة خاصة، أينما حل وضع لحافا ونام عليه، وإذا وجد في الليل أحد الإخوة النائمين وليس لديه غطاء آثره بغطاء، وإذا وجد أخا قد انكشف عنه اللحاف قام وغطّاه.

قام الحكيم على إصلاح البيت الداخلي في الجبهة، فبعد إصلاحه لمجلس الشورى التفت لترتيب المجلس العسكري والكتائب، ثم التفت إلى الأمور الإدارية (الذاتية والمستودعات والذخيرة ... إلخ) ثم انتقل إلى ترتيب أمور الفصائل؛ حتى إنهم قالوا: المدة التي تسلم فيها الحكيم الإمارة في خان الشيح لم يمر مثلها من قبل، ولو أن الحكيم جاء إلى المنطقة قبل ستة أشهر لما سقطت -(جاء النهي عن « لو» ولكن ذكرت هنا للتاريخ والاعتبار)- فقد كان رائعا في التنظيم والإدارة، فكانت الفصائل في عهده في غرفة عمليات واحدة حقيقية.

كان من اهتمام الحكيم بالتنظيم أني إذا طلبت منه أمرا يُطلب من الإداري يقول لي: لماذا تطلب مني؟ اطلب من الإداري.

في المعارك الأخيرة في خان الشيح سأل الحكيم مرة عن قائد عسكري، فقيل له: هو في المعركة، فسأل عن آخر، فقيل له: في المعركة، حتى عدّ ثمانيا، فغضب، وقال: هذا فشل إداري، كيف يدخل هؤلاء جميعا في معركة واحدة هكذا، -وكانت المعركة شديدة جدا- ثم أخذ القبضة وسحب عددا منهم بالأمر.

وفي المعارك الأخيرة لم يبق عدد كاف من المجاهدين ليصدوا الجيش، فكان يتقدم

بسهولة بعربات شديدة التصفيح ولم تكن لنا معها حيلة، إضافة إلى هزيمة نفسية عمت الجنود، وكان عدد جنود الجبهة كاملة سبعين مقاتلا فقط، فاقترح الحكيم على الشورى أن يلغي اسم الجبهة بشكل كامل، ويفك الارتباط بجبهة النصرة، ويقوم بحشد المقاتلين من جميع الفصائل بدون أي مسمى، واستفتى بعض أهل العلم فأفتاه بذلك، ولكن الشورى رأت أن الأمر منته ولا فائدة من ذلك.

تمكن النظام من قطع الطريق بين الزاكية وخان الشيح فحُرمنا بذلك من كل شيء، وصار الحصار علينا شديدا جدا، ثم تقرر شن عمل عسكري من جهتين لفتح الطريق، ولكن لم يكتب له النجاح لوجود تخاذل من طرف زاكية، وبدأت الفصائل المفاوضات من أجل الخروج إلى الشمال، وكان الحكيم يريد دائما الثبات والمقاومة حتى آخر طلقة إلا أن الفصائل اعتبرت هذا مزاودة، وغضب الثوار في زاكية من قرار خان الشيح، فاتصل الحكيم بأحد القادة هناك وطلب منه أن يفتح السماعة الخارجية ليسمع من بقربه من القادة ففعل بعد مماطلة، فقال الحكيم: اسمعوا يا شباب، هذه آخر مكالمة بين خان الشيح وبين زاكية، نحن هنا فاوضنا وعلى وشك الخروج، فإن أردتم فتح عمل عسكري فليكن من جهتكم أولا والتمهيد بكامله من جهتي، وما إن يسقط أول شهيد منكم أو أول قتيل من النظام ستروني مقتحما من جهة خان الشيح، وحدثت مظاهرات في زاكية تحيي خان الشيح، ولكن لم يجر أي عمل عسكري، فاضطررنا إلى الخروج من خان الشيح، وكان الحكيم يريد الخروج إلى درعا إلا أن معظم الشورى أرادوا الخروج إلى إدلب لخذلان درعا لخان الشيح، فخالف الشورى في ذلك وفرض أن يكون الخروج إلى درعا وسعى في المفاوضات إلى ذلك.

وتم الاتفاق مع النظام أن يسمح لمن يريد الخروج من زاكية إلى خان الشيح ومن ثم إلى الشمال.

فأعلن الحكيم أن الأمير من الخان إلى إدلب هو أبو جعفر الطيار، ثم اختفى الحكيم ومن معه من المهاجرين، وجاء أبو جعفر وخطب فينا قبل الخروج، فسألناه عن المهاجرين، فقال: لا يسألني عنهم أحد فلهم ترتيب خاص، فبكى الإخوة وغضبوا،

وقالوا: نريد أن نعرف أين هم وما هو مصيرهم، ولن نخرج من هنا من دونهم، فقال: اطمأنوا هم بخير ولا يسألني أحد أكثر من ذلك.

وتم توزيع الإخوة على الباصات؛ بحيث يكون فيه عزاب وعوائل خشية الغدر، وكان يسمح في كل باص بخمس بنادق ووضع أمير لكل باص.

وأخذنا المهاجرين ووضعناهم في نقطة الرباط، وتم التعميم أن يلبس الجميع لباسا واحدا ويتلثم، ثم ركبت مع والدتي في أحد الباصات وجلست بجانب رجل أراه لأول مرة يلبس قبعة ويضع لثاما، وجلست أمي وزوجتي خلفي، وسرنا، وبعد ساعة سألت الرجل الذي بجانبي كم الساعة؟ فأجابني، ثم أخذ يكلمني، وبعد أكثر من ساعتين اكتشفت أن الذي بجانبي هو الحكيم، وهو متنكر بطريقة متقنة، وتم إخراج باقي المهاجرين بهذه الطريقة دون علم أحد إلا من رتب لهذه الطريقة، وعدد المهاجرين كاملا ثلاثة.

وكان الحكيم يوجه الجماعة عن طريقي، قل لفلان: يفعل كذا، وفلان يفعل كذا، وظل الحكيم ملثما طوال الطريق حتى وصلنا إلى قلعة المضيق، فاستقبلنا المجاهدون وركبنا الباصات، ووزعنا على ثلاث مراكز إيواء (معرة شورين وسرمين وفندق في إدلب) والعزاب أخذوا إلى مقرات مباشرة.

ومما أذكره في تلك المدة أن الحكيم وأبا جعفر الطيار بذلا جهدا عظيما في تأمين مستلزمات الإخوة المهجرين من إغاثة وأغطية وما إلى ذلك، ثم سعيا حتى قابلا الشيخ الجولاني بعد جهد، وأعطيا سيارة (فان) فكانا يركبانها ويبحثان عن مساكن للإخوة مع جهلهما التام بالمنطقة ومن فيها، وتقرر أخيرا أن يكون السكن في معرة النعمان، فكان الحكيم يأتي إلى الإخوة ويطمئن على أحوالهم ويسألهم عما كلفوا به من أعمال، ولما طلب الحكيم إلى المفصل الطبي ليعمل معهم أراد أن يعمل في الشق الميداني إلا أنهم رفضوا ذلك لمسيس الحاجة إلى الحكيم في أماكن أخرى.

شهادة أبي جعفر الطيار:

وصل الحكيم تهريبا إلى خان الشيح مع خطورة الطريق، وفور وصوله بدأ جولة في خان الشيح وتعرف إلى المنطقة وجلس مع جميع الأفراد والمسؤولين في الجبهة وكنت أحدهم، وقد جلس معي جلسة خاصة وسألني لماذا تنازلنا في معركة دير خبية عن إعلان مشاركتنا وقبلنا بعدم الأخذ من الغنائم وعدم التواجد في المنطقة المحررة حديثا، فأخبرته بأنا قبلنا بهذه الشروط حتى لا تتحاصر المنطقة وليبقى لها شريان يمدها بالدواء والغذاء، وكان يظن أننا أخطأنا في ذلك، فلما سمع ذلك، قال: جزاكم الله خيرا، ونعم ما فعلتم ولو كنا مكانكم لصنعنا كما صنعتم، ثم رفع الصورة إلى القيادة وجلّى لهم حقيقة الأمر. وتبنى بقوة التقرب من الفصائل والعمل معها .

ثم بعد ذلك قال لي -وكان سريعا في الكلام جدا-: أنت مكلف باستلام الهاون والإشراف على شؤون الإخوة فيه وفي التصنيع، فلم أقبل وجرت بيننا مشادة، وقلت له: أنا لا أقبل بذلك، وأريد أن أبقى جنديا، ولا أريد استلام أي منصب، فغضب، وقال: أتظن أني أمزح معك؟ ستذهب إلى هناك بالأمر، فقلت: لا تجبرني على عصيان أمرك، فقال: لا يوجد مزاح هاهنا ويجب عليك السمع والطاعة اذهب فقد انتهى النقاش.

كان رحمه الله ذا شدة في تطبيق القرار إذا كان مقتنعا به، مع حزم وهيبة تجبر الجميع على الامتثال حتى من هو مشهور بعدم السمع والطاعة أو التباطؤ فيهما. كان ذا همة عالية مع كبر سنه مقارنة بسن الشباب، ولم أر في حياتي أحدا بهمته، فقد خصص جزءا من وقته لمتابعة الجرحى والمصابين سواء أكانوا من فصيله أم من الفصائل الأخرى، وألزم نفسه بدوام في المستشفى الميداني في قسم العمليات كونه طبيب تخدير، كما خصص جزءًا آخر لزيارة الإخوة جميعا، وخصصا وقتاً آخر لزيارة الفصائل والمجموعات المقاتلة في خان الشيح، وإضافة إلى ذلك كان يشارك في التدشيم وحفر الخنادق والتحصين والرياضة الصباحية مع الانغماسيين على شدتها فقد كانوا يركضون عشرة كيلو مترات وقد يصل إلى العشرين أحيانا، وقد أتم معهم الرياضة بشكل كامل مرات عديدة.

كان مواظبا على صيام النوافل والسنن الرواتب وقراءة القرآن وحضور الدروس مع الإخوة.

لم يكن يجلس مجلسا إلا ويذكِّر فيه بالله بأسلوب جذاب ومشوق جدا أيا كان المجلس؛ سواء أكان عسكريا أم شورى أم مجلس للمدنيين أم الجنود، حتى عندما يبيع ويشتري يذكّر في الله، ويبين سنن النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كان حريصا على اتباعها في كل صغيرة وكبيرة.

كان يتابع الجرحى بشكل دقيق جدا، وكان يعاملهم كأنهم أبناؤه ويحاول تذليل العقبات في علاجهم، لدرجة أنه قد ينظف الأخ العاجز عن الحركة ويميط عنه الأذى، ولم يكن يستنكف عن ذلك أبدا، بل يقول: إذا أنا لم أخدم الأخ فمن سيخدمه؟ بذل نفسه في الله ثم لا أبذل نفسي في خدمته؟ فكانت هذه المواقف تؤثر فينا جدا ولا نستطيع أن نملك أعيننا.

في إحدى المرات احتجنا بشدة إلى طبيب عظمية ولم يكن موجودا، فقام الأمنيون بخطف طبيب عظيمة من مناطق النظام وأحضروه إلى الحكيم، فجلس معه وقال له: لن تخرج من هنا حتى تعالج جميع الإخوة الذين عندهم إصابات عظمية، فرفض الطبيب بداية حتى لا يحسب على المجاهدين، فضغط عليه الحكيم وهدده، فأخذ يعمل، فقال له الحكيم: لن أنساك، ثم دار على الفصائل وجمع له راتب شهري ألفي دولار مقابل العمليات التي أجراها، وألزمه بمعالجة جميع مرضى العظمية من المدنيين والعسكريين.

وكان الحكيم يقوم بتدريب المسعفين طبيا ويرفع سويتهم العلمية عبر دورات مكثفة، وكان ينبه العاملين في المنظمات أنهم في جهاد، ويقول: يجب أن لا تغفلكم الأمور المادية عن ذلك، واستطاع استقطاب عدد منهم.

وكان في عمله مع الفصائل يقول: أنا أعمل على جمع الكلمة وتأليف القلوب بما

يرضي الله، وكان شديد الكره للنزاع بين الفصائل، واستطاع تقريب وجهات النظر، مما أدى إلى صمود عدد من الفصائل معنا في القتال الأخير في خان الشيح.
كان يحسن الظن بالفصائل والمجاهدين جميعا، يرفض النميمة والطعن والسباب والتشهير، ويكره القتال الداخلي جدا، ويسأل الله أن يسلمه منه، وقد استشهد بعد مجيئه من الجنوب قبل وقوع القتال الداخلي بعدة أيام.

كان حريصا على أموال الجهاد؛ ففي إحدى المرات فتح حقيبة نقوده أمامي (الجزدان)، وقال لي: هذه الطبقة فيها مال الجماعة، وهذه الطبقة فيها مالي الخاص، وهذه الطبقة تبرعات، وهذه الطبقة صدقات للإخوة المحتاجين، حتى تميز بينهم إذا قتلت، وأنا أضع في جيبي اليمين مالي الخاص وأوراقي الخاصة، وفي اليسار أضع مال الجماعة وأوراقها.

كان شديد الكرم لا يبخل بشيء أبدا، ويقول: أنا أبذل نفسي وتعبي ووجهي لإخواني حتى يستمروا في جهادهم.

في إحدى المرات بعد تهجرينا وكنا في وضع مزرٍ فنصحنا بعض الشباب بزيارة بعض المنظمات أو التجار لعلهم يمدون لنا يد المساعدة، فقال لي الحكيم: هلمّ فلنذهب إلى فلان، فلما ذهبنا إليه طلب منه الحكيم مساعدة الإخوة، ولم يطلب لنفسه شيئا، فقال له الرجل: والله لقد أحببتك منذ أن جلست إلي وكل ما تطلبه فأنا له مستعد، فقال: لا أريد لنفسي شيئا إنما أريد للإخوة كذا وكذا وكذا، فقال له: أبشر وأعطاه ما طلب وزاده، فلما خرجنا قلت له: قد بذلت ماء وجهك بشكل شديد، ولو كنت مكانك لم أفعل فعلك، فقال: إنما بذلت ماء وجهي من أجل إخواني وذلك في سبيل الله وأحتسبه عند الله، ومع أننا أخذنا من الرجل سيارتين مليئتين إلا أن الحكيم لم يأخذ لنفسه سوى قميص واحد ومستلزمات طبية ليساعد بها المجاهدين، ولم يقبل أن يأخذ أي شيء آخر، حتى عندما جاءته سلة إغاثية ومال قام بتوزيعهما على الإخوة.

بعد وصولنا إلى الشمال نزلنا في سكن مؤقت، واتخذت كل أسرة غرفة، فرأى الحكيم تكاسلا عن العبادة، فنظف غرفة خرِبَة وجهزها وجعل منها مسجدا، وصار يؤذن في أوقات الصلاة، ويطرق باب الغرف يدعو الإخوة إلى صلاة الفجر جماعة، ثم يعقد حلقة قرآنية، واستمر على ذلك حتى تم تأمين بيوت للإخوة، فكان يساعدنا في نقل الأغراض وحملها وتجهيز البيوت بشكل كبير جدا.

كان الحكيم إذا رأى فوضى في المقر قام بترتيبها بنفسه، وإذا رأى المطبخ يحتاج إلى تنظيف قام بذلك، فإذا رآه الشباب خجلوا وقاموا لمعاونته، ولم يكن يطلب من أحد فعل ذلك إلا ممن يشتهر بالكسل تنشيطا لهم وتعويدا على العمل والجد، ومع ذلك كان إذا أمرهم يعاونهم، ولا يمكن لأحد لا يعرفه أن يظن أنه أمير، فهو أكثر من يخدم في المقر.

كان لا يترك معركة إلا وشارك فيها، وكان يقول: الانغماس لا يقدم أجلا ولا يؤخره، دخل منغمسا مع أحد الفصائل في إحدى المعارك من محورهم دون علم الجبهة، ثم فوجئنا بنداء عبر القبضات «الحكيم مصاب» فقد رمت عليهم دبابة العدو فاستشهد شاب وأصيب آخر كما أصيب الحكيم، وكانت إصابة الحكيم خفيفة، فأسند الشاب المصاب وخرجا معا، وكانت هذه إصابته الرابعة أو الخامسة ففي خان الشيح كانت هذه إصابته الثانية وقبلها في درعا أصيب مرتين أو ثلاثة.

كان حسن الظن بالفصائل جدا، وقد ندم لأنه لم يرسل أحدا من الجبهة ليفاوض مع الفصائل، ولم يكن يرضى أن يقول أحد: إن الفصائل قد غدرت بعد ما جرى من تهاون في المفاوضات، وقال: نحن أخطأنا؛ لأننا لم نرسل أحدا من جهتنا.

جرت مفاوضات مع الروس من أجل الخروج من خان الشيح، فاشترط الروس تسليم السلاح بشكل كامل وتسليم المهاجرين، وبعد مفاوضات طويلة تنازل الروس عن شرط تسليم السلاح وبقوا مصرين على تسليم المهاجرين، وبدأت بعض الفصائل بالخروج من خان الشيح، ولم يبق في خان الشيح إلا جبهة فتح الشام وبعض

المجموعات المقاتلة، وأخبرَنَا الحكيم بذلك، فقلنا: ألم يتنازلوا عن هذا الشرط كما قيل لنا؟ فقال: أنا لم أستطع أن أخبركم بعدم تنازلهم حتى لا تخفق المفاوضات، ونحن لم نعد قادرين على الصد، فقد استنزفنا بشكل كبير -وكان هناك ثلاثة مهاجرين فقط-، ثم قال: نحن نصبر، وقد أفتانا أهل العلم والمشايخ بأن ننفذ عمليات استشهادية بعد خروجكم.

فجرى خلاف شديد في الجبهة، وقال الشباب: إذن نبقى جميعا، فلم يقبل الحكيم بذلك، وأمرهم أمرا أن يخرجوا، وأمّر أحد الشباب علينا، فقال الأمير الجديد: إما أن نخرج جميعا أو نبقى جميعا، فقال الحكيم: بل تخرجون وأبقى أنا، فانفرد الأمير الجديد بأبي مصعب، وقال له: من الأمير أنا أم أنت؟ فقال: بل أنت، فقال: أليس لي حق السمع والطاعة عليك؟ فقال: بلى، فقال: إذا ستخرج معنا وأنا سأرتب الأمر فلا تهتم بذلك، فقال الحكيم: قد أفتاني أهل العلم أن أفجر نفسي بالكفار بعد خروجكم وأنكل بهم وتكونون أنتم قد وصلتم بأمان، فقال: لا نقبل بهذا الكلام، ولن نسلمك أبدا وستخرج معنا.

ثم استقر الأمر أن يخرج المهاجرون سرا، وأعلن أمام الجميع أن الحكيم سيبقى وسينفذ عملية استشهادية، وطلب من الجميع أن يلبسوا السواد ويتقنعوا بالسواد، وأُلبس الحكيمُ السوادَ كباقي الشباب، وصعد الباص دون أن يشعر أحد، ومنع الأمير الجديد المهاجرين أن يتكلموا مع أحد، ووصلوا بخير وسلامة ولله الحمد.

استشهاده:

أخبرني الأخ أبو جعفر الطيار فقال: بعد خروجنا بشهر تقريبا جلس الحكيم في بيتي مع مسؤولي المفاصل وكانوا سبعة أو ثمانية، وجرى الحديث حول الانخراط في العمل في الشمال، وبقي المجلس منعقدا إلى الساعة الثانية عشرة ليلا، ثم أراد الحكيم الذهاب، فرجوته أن ينام عندي تلك الليلة، فرفض، وقال: أنت متزوج حديثا ولا أريد مضايقتك، فقلت: لا يوجد مضايقة، فأبى وذهب إلى المقر، وهو يبعد عن بيتي قرابة العشرة كيلو متر، فلما وصل رأى الحرس نائمين وجميع الإخوة نائمين

أيضا، فأيقظ الجميع وقسا عليهم في الكلام، وعاقبهم جميعا بأن طلب منهم نزع أحذيتهم والخروج من المقر وكان الجو باردا، ونزع حذاءه أيضا، وقال: عندكم الآن درس رياضة، ثم أخذ يركض وهم يركضون وراءه حتى طار النوم من عيونهم، ثم جلس معهم وشرب كأسا من الشاي، ونصحهم بعدم إهمال ثغر الحراسة أو التهاون فيه، ثم قال: لنرتح الآن قليلا كي نستيقظ للسحور.

وبعد أن رتب نوبات الحرس، قال لهم: لقد عاقبت نفسي معكم حتى لا تظنوا أني أفرض عليكم شيئا، فنحن في نهاية الأمر إخوة، ثم ناموا في المغارة -وهي غرفتان ولها مدخل واحد- وبقي الحرس مستيقظين، وقبيل الفجر بدؤوا بإيقاظ الشباب لصلاة قيام الليل وللسحور، وجاء أحد الإخوة -استشهد رحمه الله- ليشعل المدفأة، ولم يكن بقي في الداخل إلا الحكيم -الذي كان متعبا جدا ولم يمض على نومه إلا مدة يسيرة- وأحد الشباب، فأخطأ الشاب الذي أراد أن يشعل المدفأة؛ فبدل أن يأخذ المازوت أخذ الكاز ووضع الحطب، ثم أفرغ من الغالون على المدفأة وفيها جمر، فاشتعل مباشرة واشتعل الغالون وانفجر في يد الأخ واشتعلت فيه النار، فرمى الغالون من يده وفر إلى خارج المغارة، وأخذ يصيح، فجاء الإخوة وأطفؤوه، فقال لهم: الحكيم وأبو معاوية في الداخل، فانطلق الشباب إلى المغارة فلم يتمكنوا من الدخول لشدة اشتعال النار، فقد كان في المغارة إسفنج وبطانيات، وقد نجا أبو معاوية -استشهد في معارك خان شيخون- وقال للإخوة بعد ذلك: استيقظت فوجدت النار مشتعلة في كل مكان ولم أبصر شيئا سواها، فظننت في بادئ الأمر أني في نار جهنم فارتعدت، وأخذت النار تحرقني فتشهدت، وعرفت أني حي، فوقفت وأخذت أتلمس الجدران حتى خرجت والنار تأكل المكان بشدة.

وقد احترق أغلب جسد أبي معاوية إلا أن الحروق كانت من الدرجة الأولى والثانية والثالثة، وأما الحكيم فيبدو أنه لم يستيقظ مباشرة، فاحترق بشكل كامل، حتى جاء الدفاع المدني، وبعد إخماد الحريق وجدوا الحكيم بعيدا عن مكان نومه مترا أو مترين، وقد ذكر لي الإخوة أنه كان في وضعية قريبة من السجود رحمه الله، ونسأل الله ألا يجمع على أخينا نار الدنيا والآخرة، وأن يجعل ما أصابه كفارة لذنوبه ورفعة لدرجاته.

وقد أخبرني عمر الدمشقي نقلا عن الأخ أبو خليل زبير -استشهد في معارك شرق السكة- أنهم لما دخلوا المغارة وجدوا الحكيم على هيئة السجود، وكان قد أوصى بحرق جواله في حال استشهاده فاحترق الجوال معه، ودفن الحكيم بمعرة شمارين بعد أن أصر أهلها على ذلك لشدة محبتهم له رحمه الله.

وكان رحمه الله قبيل استشهاده اتصل بإخوانه في درعا واطمأن على أحوالهم، وقال لهم: غدا سألتقي بالشيخ الجولاني، فماذا تريدون أن أقول له باسمكم؟ ثم إنه أخبرهم أنه سوف يأتي إلى درعا بعد أن تمت المواقفة له على ذلك، إلا أنه لم يلبث بعد ذلك سوى بضعة أيام حتى استشهد رحمه الله.

يقول الدكتور أبو حسين: حزن على فقده كل من عرفه، وما ذُكر أمام أحد إلا تألم لوفاته وأثنى عليه خيرا، فقد كان رجلا قل نظيره، وقد كان في الجنوب شائعا «لو كانت الجبهة جميعا كأبي مصعب لصار الجنوب كاملا جبهة».

عن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟ قَالُوا: قَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرْقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ» رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه رواته مدنيون قرشيون.

يقول أحد إخوانه: في الليلة التي مات فيها الحكيم رأيت في منامي أني دخلت حارة، فوجدت عن يميني امرأة متزينة بشكل عجيب، فغضضت بصري، ودخلت غرفة إلى اليسار فوجدت الحكيم وبيده تمرة، فعانقني -وكان في اليقظة أعطاني ملفات طبية bdf))- فقال لي: ماذا فعلت بها؟ فقلت: أعطيتها لأبي عمر وهو سيعطيهم للإخوة.

الخاتمة:

قيل: إن الألقاب تنزل من الأسماء، وقد وجدت هذا جليا في سيرة الحكيم أبي مصعب، فما من أحد يعرفه طلبتُ شهادته إلا وصفه بالحكمة ولقبه بالحكيم، مع أن هناك أطباء كُثر غيره في الجنوب إلا أنه يقال عنهم دكاترة.

إننا بأمس الحاجة اليوم في جهادنا الشامي إلى حكمة كحكمة الحكيم أبي مصعب، يجيد التعامل مع الموافق والمخالف، ويراعي أفهام الناس، ويسعى لزج الأمة كلها بالمعركة القائمة مع الكفر، ويجتنب الصدام ما وجد إلى ذلك سبيلا، ولا يقصي أحدا، ويعتبر المنصب وسيلة لخدمة المجاهدين والسعي في حوائجهم، ويحرص على أن يكون الجاني لثمرات الجهاد هم المجاهدين أنفسهم وليس السفهاء القاعدين في الفنادق المتاجرين بدماء الأمة اللاهثين وراء حطام الدنيا، ويراقب الله في كل صغيرة وكبيرة، ويسعى لمرضاته تبارك وتعالى دون التفات إلى سخط الناس أو رضاهم، ويوفي العهود ويلتزم الأمان ولو لكافر، يلين في موضع اللين ويشتد في موضع الشدة، يربي المجاهدين على طاعة الله ومحبته والخوف منه، ويزرع بينهم الألفة والمحبة، ويحذرهم من الشحناء والبغضاء، يتقدمهم في المعارك والاقتحامات معطيا إياهم دروسا بالفعل قبل القول، فرحمه الله رحمة واسعة وتقبل منه جهاده وهجرته ونفقته ورفع درجته في الجنة، وجزاه عن أهل الشام خير الجزاء وأتمه وأكمله، وجمعنا به في الجنة مع سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

يـا أبـو مصعـب الحكيـم منسـاك يـا خـوي
سـيف الـولاء و البـراء قـد كنـت مغـوار

درعـا عليـك سـعيدة هـي و الغوطـة يـا
غالـي يـوم انتصـرت فيهـا و كنـت مغـوار

يـوم انتصـرت فيهـا و كنـت مغـوار
صبـرك يا نفسـي اخـويـا ذا استشهـد فـي

سبيـل الله خيـر الفتـى سـار
مـا احلـى الشـهادة يـا ابـن السـعادة نعـم

الزيـادة و الـدم فـوار و الـدم فـوار
ارض المعـارك في سبيـل الله فانـي مـا

اغبـرت القـدم فيهـا تبعـد لظـى النـار مـا
اغبـرت القـدم فيهـا تبعـد لظـى النـار

يـارب يسـر لنصـرة الديـن ثبـت فـؤادي
يـوم انـي قـدام

أبو دجانة السني

الفهرس

مولده ونشـأته ودراسـته 3
في الأردن 3
زواجه 6
نفيره إلى الجهاد..... 6
تعيينـه أميرا طبيبـا 6
حرصـه على نفـع إخوانـه 8
أخلاقـه 10
موقفـه مـن الدواعـش 17
قصتـه مـع قـوات un)) الفيجييـن 19
عبادتـه..... 20
صبـره..... 25
ورعـه..... 26
شـجاعته..... 27
في خـان الشـيح 30
شـهادة أبي أحمد أخلاق 33
شـهادة أبي خليل معربـة 34
شـهادة أبـي خالـد مسـلم 35
شـهادة الأخ عمـر الدمشـقي 37
شـهادة الأخ أبـي جعفـر الطيـار 43
استشـهاده 47
الخاتمـة 50